"إشكالية السؤال الفلسفى عند الأطفال"

دراسة جمالية

د. سامح محمد عطية الطنطاوي*

Sameh.eltantawy@arts.helwan.edu.eg

ملخص

تركز الدراسة على قضية مهمة تتعلق "بالفلسفة للأطفال"، من خلال التركيز تحديدًا على السؤال الفلسفى، وأبعاده الجمالية لدى الأطفال, حيث لاحظت توفر دراسات باللغات الأجنبية والعربية حول موضوع الفلسفة للأطفال بشكل عام، ولكن مع ندرة شديدة تركز على موضوع السؤال الفلسفى وأبعاده الجمالية لديهم، إذ لم يأخذ هذا السؤال الاهتمام الكافى فى الفكر الفلسفى العربى المعاصر، من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة لتسلط الضوء على الاهتمام بهذا النوع من الدراسات التى تهتم بقيمة السؤال الفلسفى بشكل عام، ولسؤال الطفل بشكل خاص. وقد جاء اهتمامي بهذا الموضوع من خلال التركيز على حق الطفل في السؤال والاستمتاع بقيمة عقله، وبحقه في ممارسة الدهشة، والخيال، والشغف، والتأمل، والشك، والسؤال، والبراءة، واللعب الحر لملكات الخيال، والتفكير اللامحدود القائم على ابداء الرأى ونقد الأطر والأيديولوجيات الأحادية الاتجاه، وذلك من منطلق أن الطفل يمتلك "خيالا لا محدودا"، وله طريقة فى التفكير ونظرة للعالم ذات مغزى مختلف عن نظرة الكبار. وهذا ما يسهم بشكل واضح فى تنمية الوعى بالجمال لدى الأطفال، وقد تم الاعتماد فى هذه الدراسة على منهجية التأويل، والتحليل، والنقد، لا أكتفي فيه بالتنظير فقط للموضوع بل سيكون هناك تركيز على الجانب التطبيقى من خلال اكتشاف طرق الأطفال فى استخدام التأويل وذلك فى ضوء وعيهم بجماليات الحياة، وهذا ما سيتضح من خلال التركيز على السؤال من خلال طرح

* أستاذ مساعد علم الجمال الحديث والمعاصر - بكلية الآداب – جامعة حلوان

إجابات متعددة لأسئلة متنوعة، أو فكرة، أو صورة, مع محاولة مناقشة الاتجاهات التى اهتمت بهذا الموضوع لتوضيح طبيعة هذه الممارسات الفلسفية من خلال أسئلة الأطفال، مع التركيز على تحليلها وتقديم وجهة نظر بصددها.

المفاهيم الأساسية للدراسة: السؤال الفلسفى، الفلسفة للأطفال، التعليم الفلسفى ،الممارسة الفلسفية، الاستشارة الفلسفية للأطفال، الوعى الجمالى للأطفال.

مقدمة.

كتبت هذه الدراسة من خلال معايشتى الحالية لإبنى "محمود" في مرحلة طفولته البريئة والمدهشة بحق، فهو بالفعل يعلمنى كل يوم أشياء جديدة وجميلة، كما أننى أبادله نفس الشيء، والحوار بيننا عبارة عن "سؤال يحتمل إجابات لا نهاية لها"، كما أنه حوار يتعلق بتفسير مغزى وجود الإنسان فى العالم بمعنى الكلمة، ولعل الدهشة والشغف فى عيون ابنى تجاه تفاصيل الحياة بوصفها تفاصيل جديدة على كونه الخاص، ورؤيتى له كانا وراء التفكير فى إعداد دراسة حول "السؤال الفلسفى عند الأطفال" هذا السؤال الذى كان وراء إبداعات فلاسفة ومفكرين كبار على مر العصور، سنعرض لوجهات نظر بعضهم خلال هذه الدراسة.

تركز هذه الدراسة على قضية مهمة تتعلق "بالفلسفة للأطفال ""Philosophy for Children" التى يتم إختصارها إلى "P4C"[١] من خلال التركيز تحديدًا على السؤال الفلسفى، حيث لاحظت توفر دراسات باللغات الأجنبية والعربية حول موضوع الفلسفة للأطفال بشكل عام، ولكن مع ندرة شديدة تركز على موضوع "السؤال الفلسفى لديهم، إذ لم يأخذ هذا السؤال الاهتمام الكافى فى الفكر الفلسفى العربى المعاصر، من هنا جاءت أهمية هذه الدراسة

لتسلط الضوء على الاهتمام بهذا النوع من الدراسات التى تهتم بقيمة السؤال الفلسفى بشكل عام، ولسؤال الطفل بشكل خاص.

كما جاء اهتمامي بهذا الموضوع من خلال التركيز على حق الطفل في السؤال والاستمتاع بقيمة عقله، وبحقه في ممارسة الدهشة، والخيال، والشغف، والتأمل، والشك، والسؤال، والبراءة، واللعب الحر لملكات الخيال[٢]، والتفكير اللامحدود القائم على ابداء الرأى ونقد الأطر والأيديولوجيات الأحادية الاتجاه، وذلك من منطلق أن الطفل يمتلك "خيالا لا محدودا"، وله طريقتة فى التفكير ونظرة للعالم ذات مغزى مختلف عن نظرة الكبار، وهذا ما يسهم بشكل واضح فى تنمية الوعى بالجمال لديه.

إن الاهتمام بسؤال الطفل عبر تطوره الجسدى والنفسى والإنسانى والوجودى سيساعد بشكل كبير فى تنمية الوعي الجمالى والاحساس بمعانى الحياة المختلفة لديه فى ظل انتشار أجهزة الألعاب الإلكترونية التى ساهمت بشكل كبير فى قتل روح السؤال عند الأطفال، وميلهم إلى الاهتمام بسائر وسائل التكنولوجيا المتنوعة على حساب الاهتمام بمعرفة النفس بالمعنى السقراطى إن جاز التعبير.

ولا شك إن للألعاب الإلكترونية تأثيرها فى تغيير سلوك الطفل للأسوأ، حيث إنها تدفعه للأنانية وحب الذات وزيادة العنف، وربما تدفعه للسرقة للحصول على هذه الألعاب وتجديداتها من الأسواق، أو لشراء الأجهزة التي يتمكن من ممارسه هذه الألعاب عليها، حيث إنها قد تكون تحولت إلى شكل من أشكال الإدمان عنده، وكذلك فإن كثرة استخدام الطفل للأجهزة الإلكترونية تجعله يميل للاغتراب عن نفسه والعالم من حوله، على الرغم أن هذه الألعاب أحيانًا تكون

مفيدة فى تسلية الأطفال، أو الاستمتاع ببعض الوقت داخل هذا العالم الافتراضى[٣].

تعد مرحلة الطفولة ذات خصوصية عالية فى حياة الطفل فى المؤسسات التعليمية فى العالم بآسره، ومن هذه الخصوصية تنطلق التربية الحديثة فى رؤية شمولية متكاملة للطفل من جوانبه المعرفية المختلفة (الأخلاقية، واللغوية، والجسدية، والصحية، والعقلية، والجمالية)، وهنا تأتى أهمية تنمية الوعى الجمالى عند الأطفال، من خلال هذا التكامل بين الجوانب السابقة، مع مراعاة حاجات الأطفال وحقوقهم.

ولقد انطلقتُ فى هذه الدراسة من الوقوف على ما ورد بالعديد من المصادر الفلسفية التى تناولت الجانب الفلسفى لتربية الطفل فلسفيًا والاهتمام بالأسئلة التى يطرحها، على سبيل المثال إن الفلسفة عند "ميشيل دى مونتين" «M.D. Montaigne»(١٥٣٣-١٥٩٢) هى الفن الذي يعلمنا كيف نعيش؛ ولذلك فإن الأطفال يحتاجون لتعلمها بقدر ما نحتاج نحن في أي مرحلة من عمرنا، إن دور الفلسفة في حياة الأطفال فى المراحل الأولى من حياتهم لا تركز على تعريفهم بالفكر الفلسفي، إنما التركيز يكون فقط على معيار منطقي نضعه بين أيديهم ليحكم عملية التفكير ويزيد تقدير الذات لديهم، وهو دور يمتد ليزيد قدرتهم على الانتباه والتحصيل الدراسي[٤] .

كما يعد الفيلسوف الألمانى آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨-١٨٦٠) واحدًا من أهم الفلاسفة الذين أعطوا أهمية لدراسة العلاقة بين البراءة والطفولة؛ فهو يذكرنا بأن الطفولة هى "مرحلة البراءة التى ولت عنا وفاتتنا"، مع وصفه للحيوان باعتباره كائنًا بريئًا يعلن عن إرادته أو رغباته

صراحة وتلقائية ودون مواربة، وهذا هو ما سيكون موضع نقاش داخل ثنايا البحث(٥).

وفي هذا المقام علينا أن نتأمل كلمة "البراءة" كما يوضحها سعيد توفيق فى كتابه "الخاطرات: التأملات الأولى فى ظاهرات الحياة والوجود"، لنجد أن معناها يستند إلى نقاء النفس من كل سوء أو أذى. يقول فى خاطراته "لا أدرى لماذا كلما تذكرت هذه الصلة الحميمة بين الطفولة والبراءة، ارتسمت أمام ناظرى لوحة من لوحات المصور البريطانى العبقرى جوشوا رينولدز"(٦) Joshua "Reynolds" (١٧٢٣-١٧٩٢)، فهو عند بعض النقاد أعظم الرسامين الإنجليز فى كل العصور، بما تميزت به لوحاته، وكثير منها يمثل وجوهًا أو موضوعات تاريخية(٧).

وعند رينولدز تظل الطفولة موضوعًا أثيرًا فى أعماله. وهو بلا شك واحد من أفضل مصورى فن البورتريه الذى يُعد من أصعب الفنون؛ لأنه يعتمد على تصوير الباطن كما يتجلى فى الظاهر، أعنى تصوير طبيعة الروح كما تتجلى فى تعبير موجود بشرى ما. فالعنوان الذى تحمله لوحة رينولدز "سن البراءة"(*)، يعبر صراحةً عن صميم ما نتحدث عنه هنا، ولكنه يجسده إيحاءً وتلميحًا من خلال اللوحة ذاتها، وهذا شأن الفن الذى يعبر دائمًا من خلال التلميح والإيماء. فكيف تعبر اللوحة هنا إيماءً وتلميحًا؟(٨).

يقدم الفيلسوف الأمريكى جون ديوى Gohn Dewey (١٨٥٩-١٩٥٢) فى كتابه المهم "الخبرة والتربية" تحليلا واضحا لكل من التربية "التقليدية" والتربية "التقدمية"، وفى الكتاب نجد وصفا لنواحى النقص الأساسية فى كل منهما، فحيث قصرت المدرسة التقليدية اعتمادها على المواد أو التراث الثقافى، نجد أن

المدرسة "الجديدة" تعلي من شأن حوافز المتعلم وولعه، كما تعلي من شأن المشكلات الحاضرة لمجتمع متغير. غير أن كلتا هاتين المجموعتين من القيم غير كافية بمفردها، فكل منهما ضرورية ومكملة للأخرى، والخبرة التربوية السليمة تتضمن قبل كل شيء الاستمرار والتفاعل بين المتعلم وما يتعلمه(٩).

ومما لا شك فيه أن المنهج التقليدى قد أغفل ما فى طبيعة الطفل من قدرات وما له من ميول، من بينها فى اعتقادي قدرة الطفل على طرح السؤال، بيد أن رد الفعل لهذا النوع من التعليم المدرسى فى الوقت الحاضر يتجه إلى النقيض المتطرف أى إلى المنهج الناقص والفردية المسرفة، والتلقائية التى تعد دليلاً خداعًا على الحرية. ويؤكد جون ديوى أن كلًا من التربية القديمة والتربية الحديثة لا تفى بالغرض، فكلتاهما تربية قاصرة لأنهما لا تطبقان أساليب مشتقة من "فلسفة للخبرة مدروسة بعناية"، وفى اعتقادي أن من المهام الحقيقية لفلسفة الخبرة هى الاهتمام بتنشئة الطفل فلسفيًا(١٠).

يفسر ديوى التربية الحقيقية على أنها الطريقة العلمية التى يدرس بها الإنسان العالم، ويحصل على علم متزايد من المعانى والقيم، حتى إذا ما حصل على هذه النتائج اتخذها مادة لدراسة نقدية وحياة حكيمة. وينشد البحث العلمى مجموعة من المعارف تفهم على أنها وسيلة إلى بحث أوسع مدى. وعلى ذلك فإن رجل العلوم لا يقصر بحثه على المشكلات كما يلقاها، بل يمضى فى دراسة هذه المشكلات وتاريخها وعواملها ومعناها. وربما احتاج فى سبيل تحقيق هذه الغاية إلى عرض مجموعات من المعرفة ذات صلة بعضها ببعض، ولذلك كان لابد من أن تستخدم التربية تنظيمًا تقدميًا لمادة الدراسة حتى يمكن أن يؤدى فهم هذه المادة الدراسية إلى جلاء معنى المشكلات ومغزاها. والدراسة العلمية تؤدى

إلى الخبرة، كما أنها توسع ميدانها. ولكن هذه الخبرة لا تكون تربوية إلا بقدر ما تستند إلى المعرفة المستمرة ذات المغزى، وبقدر ما تعدل هذه المعرفة وتشكل نظرة المتعلم وسلوكه ومهارته(١١).

انطلق أيضًا جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨)، فى كتابه "إميل أو التربية"، من وجهة نظر لها أهمية خاصة لهذه الدراسة، فكتابه عبارة عن رحلة مع فيلسوف، يربى طفلًا من مولده حتى نضجه، من منظور راسخ لديه يؤسس عليه تربية "إميل" وهو الطبيعة الفطرية للإنسان، فهو يولد على الفطرة نقيًا كالصفحة البيضاء دون شوائب، وهو بهذا لديه الاستعداد لأن يكون كذلك لأن طبيعته هكذا، وهى طبيعة بعيدة عما يحدثه المجتمع فيها من فساد، فمغادرة الإنسان لهذه الطبيعة ومعايشته للمجتمع وتأثره بضغوطه تفسد هذه الطبيعة وتلوثها، فهو فى التربية الطبيعية يتناول ثمارًا ناضجة طازجة لم يتدخل المجتمع فى إثمارها، كما أن الثمرة ينبغى أن تنضج فى بيئتها الطبيعية هواء وشمسًا وتربة وماء، وكأن روسو يكتشف هنا منطلقًا متحررًا من قيد التعليم النظامى، حيث ينمو الطفل ويتنفس بشكل طبيعى، وكأنه يقول لنا: أطلقوا صغارنا من معتقلاتهم(١٢).

هذه النظرة التى أقام عليها روسو "تربية إميل" تنادى بإبعاد الطفل فى طفولته المبكرة عن المضامين الثقيلة والمجردة المتصلة بالمجتمع والدين والأخلاق، والتى لا تأخذ فى اهتمامها تلك المنطلقات الأساسية للتعلم الجيد المتمثلة كما ذكرنا فى مقدمة الدراسة فى الاندهاش والتساؤل والعطش إلى المعرفة، كما تنادى هذه النظرة باعتماد التربية على النشاط واللعب المنظم

والسماح للأطفال بأن يكونوا أطفالًا، يمارسون النشاط الحر، واللعب الحر لملكات الخيال المحبب لهم، بما ينمى لديهم ملكة الإبداع والفضول الطبيعى(١٣).

لقد نادى روسو بالعديد من المبادئ تدخل فى صميم فلسفة التربية للأطفال ويمكننا أن نحددها فيما يلى:

١. البعد عن عقاب الأطفال كأسلوب للتعليم، إيمانًا ببراءتهم وفطرتهم وطبيعتهم الخيرة.

٢. ترك الطفل يتحمل مسئولية تعلمه بنفسه فتنمو لديه مهارات التفكير واكتشاف المفاهيم والحقائق ذاتيًا.

٣. تجاوب المعلم مع اهتمامات الطفل ليتعلم ما يرغب فى تعلمه وليس ما يرغب فيه الكبار، ومن ثم ينبغى أن تكون ميوله وحاجاته ومتطلباته وآماله وطموحاته، هى أساس تعلمه.

٤. اتصاف المواقف التعليمية بالتشويق والإثارة، وهذا يتطلب أن تتيح هذه المواقف للطفل الحرية فى الحركة والنشاط والتفاعل والممارسة، حيث يتعلم من الطبيعة ما يحتاج إليه لينشأ وفق قوانين الطبيعة(١٤).

على أنني تأثرت بالفيلسوف الألمانى جيرد أخينباخ "Gerd B.Achenbach (هاملن ألمانيا ١٩٤٧-)، مؤسس الاستشارة الفلسفية عام ١٩٨١، وكان من الأسباب الجوهرية التى دفعتني للاهتمام بهذه الدراسة هو الاهتمام بموضوع الممارسات الفلسفية منذ عام ٢٠٠٨ وبالتحديد عند ذلك الفيلسوف، بعد أن حضرت له محاضرة فى مؤتمر "جمعية الصحافة الرومانية" "Associazione Stampa Romana" عام ٢٠٠٩، حيث بدأ اهتمامي بفكرة الممارسات الفلسفية على المستويين النظرى والتطبيقى(15).

هذه الاستشارة التى قدمها جيرد أخينباخ هى ثقافة لكل الأفراد الذين يعانون من المشاكل والاضطرابات التى يواجهونها فى الحياة، ويعتقدون أنها مستمرة دون حل، أو الأشخاص الذين يواجهون أسئلة ولا ينجحون فى الاجابة عنها، أو لا يستطيعون التخلص منها وتظل مؤثرة على واقع حياتهم اليومية، أو الأشخاص الذين لديهم انطباع بأن حياتهم العاطفية لا تتوافق مع إمكاناتهم بشكل عام.(16).

وهذا التعريف الذى قدمه جيرد أخينباخ مهم للغاية أيضًا فى التعامل مع الأطفال، للتعرف على عالمهم والمشكلات التى تواجههم، وفى هذه الدراسة سنركز على العديد من أنماط الفلسفة العملية مثل فكرة الاستشارة الفلسفية، وتحليل الممارسات والأسئلة الفلسفية عند الأطفال، وهذا يعد تحديًا من الفلسفة لنا جميعًا، ويتصل مباشرة بالتعليم الفلسفى من أجل إضفاء البعد الإنساني على الأفراد، مع تنمية القدرة على الربط الصحيح بين الأشياء والتفكير الواضح الذى يتسم بالنظرة النقدية، مع عدم فقدان الهدف عند الحكم على الأشياء واستنباط المفاهيم، واستيعاب المشكلات فى المواقف التى نواجهها، وكلها قدرات نحتاج لتنميتها مهما كان ما نفعله فى حياتنا، فهى قدرات تحتاج للتنمية مبكرًا كلما أمكن. ومن الممكن تنميتها عن طريق التعليم الفلسفي.

وعلى الرغم من الدور الحيوى للتربية الفلسفية، إلا أن الفلسفة لا تدرس على الإطلاق فى مرحلة ما قبل الجامعة فى العديد من البلدان، أو إن كانت تدرس، فإن ذلك يحدث دون أى ربط بينها وبين الحياة اليومية، مع استثناءات قليلة. فكيف يتسنى لنا تغيير الموقف؟ وهذا هو سؤال جوهرى أيضًا سوف تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه.

لقد ركز الفيلسوف الألمانى جيرد أخينباخ فى كتابه "الاستشارة الفلسفية" على طرح السؤال الاستفهامى بكيف؟ ويرى أن الفكرة الأساسية وراء الممارسات الفلسفية تدور حول السؤال التالى: كيف يمكننا بشكل فعلى تطبيق الفلسفة فى الحياة؟ وذلك ليُستأنف دورها من جديد، ويضرب مثالا بفلسفة سقراط "Socrate"(٤٦٩- ٣٩٩ ق.م) والمدارس اليونانية القديمة، التى استطاعت بشكل عملى ممارسة الفلسفة فى الحياة، وهنا يؤكد "أشينباخ" على أن معظم الدراسات الأكاديمية أخفقت فى إقامة علاقة وثيقة بين الفلسفة والحياة، وذلك بسبب تركيز معظمها على مفاهيم وأفكار مجردة(١٧) ، ولكني حاولت فى هذه الدراسة الوقوف على هذه العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والحياة من خلال الاهتمام بفلسفة الأطفال وخاصة الأسئلة المهمة التى يطرحونها.

ومن أهم هذه المصادر التى شكلت جانبا مهما للغاية لدى جيرد أخينباخ هو (المنهج السقراطى)، وهو ما لاحظناه فى كتابه "الاستشارة الفلسفية" وخاصة فى الفصل الثانى، الذى جاء فى شكل حوار يشبه كثيرا الحوار السقراطى(١٨)، وهو حوار بين (أشينباخ) وشخص آخر يدعى (لورنزن)"Lorenzen"، أخذ طريقة المنهج السقراطى وشكله الجدلى، حول قضايا تخص الحياة، والسعادة، والأمل، والحزن، والاخفاقات فى الحياة، والنجاحات التى يمر بها الإنسان..الخ. الذى عرف باسم الطريقة السقراطية، هذا الحوار حاولت توظيفه فى هذه الدراسة(١٩)، ويعد أساس مهم لدخول إلى عالم السؤال عند الطفل، وعندما قرأت كتاب الاستشارة الفلسفية لجيرد أشينباخ بالإيطالية وجدته متشابها مع كتاب جان جاك روسو "إميل والتربية" رحلة الفيلسوف وتربيته لطفل من مولده حتى بلوغه ستة عشرة عام.

ما الذى كان يتمتع به سقراط أكثر مما يتمتع به أى مواطن "صالح" عادى؟

ربما يرد سقراط على تساؤلنا بالسلب. فسقراط يدعى أنه لا يعرف شيئا، وكل ما يفعله هو أن يوجه أسئلة إلى الآخرين، وبذلك يستنبط ما يعرفونه، ومن ثم فإن سقراط كان لديه بالفعل شيء مهم، لم يكن يتمتع به محاوروه كأناس عاديين، لقد كان يعرف المبادئ الاستراتيجية للتفكير المنطقى، وبحث الأسئلة وتوجيه ما هو صائب منها(٢٠).

***

على أن منهجي فى هذه الدراسة هو منهج تأويلى، وتحليلى، ونقدى، لا أكتفي فيه بالتنظير فقط للموضوع بل سيكون هناك تركيز على الجانب التطبيقى، من خلال اكتشاف طرق الأطفال فى استخدام التأويل فى ضوء وعيهم بجماليات الحياة، وأبعادها اللامحدودة فى خيالهم، وهذا ما سيتضح من خلال التركيز على السؤال من خلال طرح إجابات متعددة لأسئلة متنوعة، أو فكرة أو صورة ما، مع محاولة مناقشة الاتجاهات التى اهتمت بهذا الموضوع لتوضيح طبيعة هذه الممارسات الفلسفية من خلال أسئلة الأطفال، مع التركيز على تحليلها وتقديم وجهة نظر بصددها، إن الفلسفة مع الأطفال من وجهة نظري تعنى وضع الفلسفة موضع التطبيق، أي ممارستها من خلال معايشة الأسئلة المطروحة مع الأطفال ووضعها فى دائرة من الحوار والتأويل، للوقوف على أبعادها الجمالية المفتوحة، ومن هنا جاءت أهمية التركيز على المنهج التأويلى داخل هذه الدراسة.

ومن خلال المنهج التحليلى النقدى يتساءل الباحث هل نحن فى حاجة ضرورية لفلسفة الأطفال داخل الاطار الثقافى المصرى والعربى؟ وبالتحديد لأننا نعيش داخل إطار ثقافى وتعليمى يفرض على الطفل شكل القيم المرتبطة به بداية من السنوات الأولى مع الوالدين، ولا يجب عليه أن يحيد عنها، ثم المدرسة والتعليم، وبالطبع المجتمع، هل هذه التربية تقتل السؤال؟ وهل يمكن تعلم التفلسف لدى الأطفال خلال السنوات الأولى والاستفادة من إبداعهم الذى يتمثل فى الدهشة والخيال والشغف، وهذه هى الطبيعة الجوهرية لروح الفلسفة، أم أن ممارسة التفلسف هو حق للكبار فقط دون الأطفال؟[٢١].

على إن هدف الدراسة ينطلق من فكرة الاهتمام بسؤال الطفل بالمعنى السقراطى، أى فتح حوار معه من خلال الإنصات له أكثر من إعطائه إجابات تعجبنا نحن, أى إجابات جاهزة يجب على الطفل حفظها، لماذا لا نترك الطفل يختار دون أن نفرض عليه طريقتنا فى الحياة وأسلوبنا الذى نريد له أن يتبناه.

لعل المحاولة التى أطرحها فى هذه الدراسة فرصة لتطوير فلسفة السؤال عند الأطفال من خلال التركيز على قيمة الحوار مع الطفل بداية من طرحه للسؤال، وهذه الفكرة مهمة لبناء قيم مثل التأمل، والتفكير، والجمال، والاستفادة من القيم التى تقدمها الفلسفة للتعليم وأهمها قيمة الاختلاف وتعدد أوجه الصواب[٢٢].

وعلى هذا فإنني أعتقد أن هذه المحاولة مهمة لأنها ستفيد فى توفر المعرفة الفلسفية وكذلك التحليل والنقد الفلسفي للأطفال، وهذا الهدف يجب أن يمثل هدفا مشتركا بين المهتمين بالحقل الفلسفي، لما لذلك من أهمية بالغة في ترسيخ ثقافة الاختلاف، وزرع قيم التسامح والتعايش وفهم الذات، ذلك أن التحليل والنقد،

وعدم تقبّل الأفكار الجاهزة من شأنه أن ينشئ جيلا أكثر انفتاحًا وذو رؤية أكثر مرونة للحياة.

***

المفاهيم الأساسية للدراسة: السؤال الفلسفى، الفلسفة للأطفال، التعليم الفلسفى، الممارسة الفلسفية، الاستشارة الفلسفية للأطفال، الوعى الجمالى للأطفال.

أولًا: السؤال الفلسفى وسؤال الطفل.

ما السؤال الفلسفى؟

يمكن تعريف الفلسفة بأنها "فن طرح الأسئلة الصحيحة"[٢٣]، بل إن الأجوبة فى الفلسفة هى عبارة عن أسئلة، والهدف منها هو البحث عن الحقيقة[٢٤]، وعدم الركون إلى أجوبة جاهزة، إن السؤال الفلسفى يتضمن فى الواقع سلسلة متدرجة من الأسئلة، فكل سؤال يستدعى سؤالًا آخر، كما أن كل سؤال يعد بداية لأخر جديد، من هنا فالسؤال الفلسفى مفتوح لتقديم إجابات إحتمالية[٢٥] حول فكرة واحدة، كما أنه سؤال نقدى ينطلق من أرضية غير منحازة.

وبدون سؤال الطفل ماذا سوف يعرف، وبدون الدهشة والحيرة والقلق، ما الذي سوف يستفز في نفوسنا وعقولنا السؤال؟ وإذا تردد السؤال في التجربة اليومية للإنسان العادي، فهو استفهام حول موضوع يستشعره السائل، ولكن لا يدري ما هو. قد يسأل عن شخص مثلاً من هو ليعرفه، وعن شيء لم يعرفه أو يراه ليستطيع استخدامه. لكن السؤال الفلسفي يختلف عن السؤال العادي في كونه لا غاية نفعية مباشرة له. ثم أن موضوع السؤال يظل فائضاً ما وراء حدوده، أي

يصعب تعيينه أو تجسيده. ثم أن كل إنسان يمكنه أن يطرح أهم الأسئلة الفلسفية دون أن يكون عارفًا بتاريخ الفلسفة ولا بتقنيتها وأفكارها وأجوبتها. كما أن السؤال الفلسفي ليس حكراً على الفلاسفة وحدهم. ويستطيع كل إنسان أن يطرح أسئلته التي تقلقه ويسعى في البحث عن أجوبتها، التي ستكون هي أجوبته الذاتية واكتشافاته، كما يعتقد ويتصور. والسؤال الفلسفي ليس طلباً لمعلومة معينة يضيفها الفرد إلى ذاكرته من المعلومات الأخرى، بل طلباً لتلك الحقيقة التي تخصني أنا وحدي(٢٦).

لكن في الوقت الذي يمنع فيه السؤال أو يستبعد فهو يتساوى مع منع الفرد عن تحقيق وجوده، وهذا يُظهر خطر الأنظمة المتسلطة كالأيديولوجيات حين تحاصر العقل بحلولها وأجوبتها. فهي تعمل بتعمد في إجهاض ولادة السؤال, وبالتالي ستقضي على إمكانية مد الجسر بين الفرد وكيانه. وفي حالة انعدام ذلك الجسر أو انهياره كيف يستطيع الإنسان أن يستمر بدون كيانه. وكيف يستطيع الفرد العربي الممنوع من السؤال والمستبعد من قبل الخطاب الأيديولوجي والديني والعصبي السائد أن يحس، أن له ثمة كياناً. لأنه من الممكن للإنسان أن يوجد ككل الأشياء الأخرى في الطبيعة، ولكن أن يكون، فذلك يتطلب تجربة أخرى يصير فيها الكائن لا يعيش مجرد عيش في الزمان، ولكن يعيش الزمان. وأن يحقق ويوجد كيانه المستقل.(٢٧).

كان سقراط هو أول من استخدم السؤال الفلسفي، كما قالت الكاتبة الأمريكية كورامیسن Cora Mason (١٨٦٧-١٩٥٤)، فهو "الرجل الذى جرؤ على السؤال"، هذا السؤال لم يتخذ شكلًا واحدًا أو معينًا، إنما قام على عدة أشكال مفتوحة عبر ممارسة الحوار، إن السؤال الفلسفي عند سقراط هو عبارة عن ذلك

السؤال الذي يولد الأفكار. إن السؤال لديه أداة مهمة من أجل الوصول إلى الحقيقة، وتبديد الجهل حولها، السؤال الفلسفى إذن بهذا التصور هدفه الوصول إلى المعرفة والتى يكون دافعها الفضول والشغف عند الشعور بوجود مشكلة، ويرى الباحث أن المبادىء السقراطية مهمة، لأنها تشكل تحد مهم للوعى بطبيعة السؤال الفلسفى والجمالى لدى الأطفال(٢٨).

إن الخطوة الأولى لإيقاظ السؤال الفلسفى كما أكد عبد الغفار مكاوى فى كتابه المهم "مدرسة الحكمة" هى الرجوع به إلى الحالة الأولى للتفلسف، أى إلى الدهشة الأصيلة التى جعلت أقدم الفلاسفة يسأل هذا السؤال السهل العسير: ما هو الوجود؟(٢٩)، فالبدهشة نخطو الخطوة الأولى على طريقها الطويل. نسأل الموجود ما أنت, من أين أتيت، وإلى أين تصير؟ لم وجدت ولم تكن بالأولى عدمًا؟ نحن جميعًا مطالبون بالسير على هذا الطريق الذى قد لا يكون له آخر وقد لا يبدو له هدف. إنه طريق يسير عليه الإنسان ولا يدرى إن كان "سيصل"، فهو لا يعرف هنا معنى لكلمة "الوصول". إنه يحمل على ظهره منتهى شجاعته ومنتهى حزنه، يتخبط فى ليل السؤال ولا يدرى إن كانت ستشرق عليه شمس الجواب. كلمة "لماذا" هى عصا الوحيد على الطريق الوحيد. تلمس الحجر فتنبت له عينان تستفسران: من أنا، ما أصلى، وما نهايتى؟ وتمس الحيوان فيرتعش، يفيض السؤال البرىء من النظرة البريئة: هل تعرف إلى أين؟ وتهز عقل الإنسان وقلبه فيفتح عينيه كما فتحهما آدم على الوجود أول مرة ويسأل: من هو الإنسان؟ ماذا أريد من العالم وماذا يريد العالم منى؟(٣٠)

السؤال الفلسفى يتجة إلى هذا الشيء أو ذاك مما نراه كل يوم. إنه لا يتجه إلى شيء "خارج العالم" ولا إلى شيء موجود فى عالم آخر بعيد عن تجربتنا

اليومية، لكنه سؤال يقول: ما هذا على الإطلاق وفى حقيقته الأخيرة؟ يقول أفلاطون فى محاورة ثيآيتيتوس: "لا ما إذا كنت أظلمك ها هنا أو كنت تظلمنى – ليس هذا هو الذى يشتهي الفيلسوف أن يعرفه– بل ما هى العدالة على الإطلاق وما هو الظلم، لا ما إذا كان الملك الذى يملك الكثير من الذهب سعيدًا أو غير سعيد، بل ما هو الملك على وجه الإطلاق وما السعادة والتعاسة على الإجمال وفى حقيقتها الأخيرة(٣١).

على سبيل المثال أكدت "الجمعية الفلسفية الأمريكية" "أن الممارسة الفلسفية يمكننا الرجوع بها تاريخيا إلى "سقراط"، لأنه من أوائل الفلاسفة الذين اهتموا بالممارسة العملية للفلسفة من خلال السؤال، كما انصبت الرؤية والفكر الفلسفى للمدارس الهيلنستية التى جاءت بعد ذلك مثل "الأبيقورية" و"الرواقية" و"الشكاك"، على فكرة عملية مهمة، وهى أن "الفلسفة طريق لمواجهة المشكلات المؤلمة فى الحياة الإنسانية"، لم تكن قيمة الفكر الفلسفى لدى هذه الاتجاهات فى ذاته فقط، بل قدرته على جعل الإنسان يتحرر من سؤال القلق والموت والتشاؤم، عن طريق التفكير فى الوسائل والغايات التى توصلنا للسعادة والفضيلة فى الحياة العامة، وهذا ما أكده "بيير هادوت" "Pierre Hadot"، فى كتابه "التدريبات الروحية والفلسفة القديمة" " Essercizi spirituali e filosofia antica"(٣٢).

يسعى سقراط فى المقام الأول إلى أن يشحذ لدى تلاميذه حس الحقيقة. ينبغى أن يتوصل محاوره بنفسه إلى أنّ ما كان يعتبره حقيقة ليس كافيًا، وبالتالى لم يبلغ بعد مرتبة الحقيقى, بالمعنى الدقيق للكلمة(٣٣).

إن سبب إعدام سقراط يكمن فى أنه كان يُخضع كل شيء للمساءلة: طبيعة الحكم وقانونه، السلطة، الدين، التصورات عن الآلهة والفضيلة، عن الخير والعدالة، عن الشر والظلم. لم يكن يستثنى من المساءلة شيئًا، وبالطبع كانت لمساءلته إشارة سياسية. لهذا اعتبر خطرًا(٣٤).

وعلى الرغم من تأثير فلسفة سقراط التعليمية على العديد من الفلاسفة المعاصرين وعلى الكثير من الفلاسفة المهتمين بجوانب الممارسة الفلسفية المتمثلة فى الاستشارات الفلسفية وفلسفة الحياة، إلا أن بعض الفلاسفة وعلماء النفس يرون أن الدفع بالأطفال إلى التفكير مبكرًا قد يمثل خطرًا عليهم من الناحية النفسية، إذ لماذا يزج بهم باكرا جدا داخل مشكلات الحياة الكبرى التى سيتاح لهم الوقت لاكتشافها عند سن الرشد؟ ولماذا نكسر براءتهم بجعلهم يدركون الطابع المأساوى للحياة ونخمد خيالهم بإرجاعه إلى برود العقل ونفض أسرار أحلامهم ونسرق طفولتهم(٣٥)؟

يرى رينيه ديكارت أن الطفولة هي مرحلة بدائية الرأي، مرحلة السذاجة والاستقبال العفوي للمعارف، سواء باستخدام الحواس الخادعة أو بتلقي أجوبة المجتمع، فالطفل يكدس كمية هائلة من الأفكار التي هي في معظمها خاطئة وغير ذات أساس صلب؛ ولهذا يفضل من وجهة نظره أن تأتي الفلسفة متأخرة، أي حينما يستكمل الفرد قواه العقلية التي تمكنه من التسلح بالمنهج الذي يمكنه من التخلص من براءة الطفولة(٣٦).

أما الفيلسوف وعالم النفس السويسري جان بياجيه Jean Piaget (١٨٩٦-١٩٨٠) الذي اشتهر بدراسته لمرحلة الطفولة(٣٧)، فيرى أن الطفل قبل الحادية عشرة من عمره غير قادر على تطوير التفكير النقدي، فيما كان هذا السن

تحديدًا –وما قبله– هو الذي رأى فيه أستاذ الفلسفة الأمريكي ماثيو ليبمان (١٩٢٢–٢٠١٠) ضرورة تطوير التفكير النقدي فيه عند الأطفال[٣٨]، إذ لاحظ أن طلابه في الجامعة وإن كانوا قادرين على دراسة تاريخ الفلسفة إلا أنهم غير قادرين على التفلسف، وهذا يرجع إلى عدم ممارسة التفكير النقدى وطرح السؤال منذ الطفولة.

يرى المؤيدون لرأي بياجيه أن الفلسفة تنبع أساسًا من مستوى من التفكير يجعل الحياة مقلقة ويدفع الإنسان للتفكير في قضايا تعتبر بالنسبة له غير محسومة، بينما الطفولة هي مرحلة الاطمئنان والسكينة. ويرى هؤلاء في تدريس الفلسفة للأطفال خطرًا نفسيًا عليهم إذ يسلبهم البراءة ويزجّ بهم في مشكلات الحياة ومآسيها قبل الآوان، كما أنها ستحدّ من خياله واتساع أفقه وتسرق أحلامه[٣٩].

بينما يرى الفريق المقابل لرأى بياجيه أن دهشة الطفل وجرأته في اقتحام المجهول، وما يطرحه من أسئلة وجودية أزلية عن الله والأصل والمصير والموت –التي نعتبرها نحن الكبار الأكثر إحراجًا–، هي في الحقيقة الأسئلة الفلسفية الكبرى التي يبحث الفلاسفة عنها عبر التاريخ، بحيث يمكن القول إن الفلسفة هي الطفولة الدائمة للفكر.

وفى اعتقادي أن الطفل يولد بذات واعية وعقل قادر على التأمل والتفكير، لكن المشكلة تنبع من أسلوب الحياة والتعليم الذى يعيشه الطفل، أسلوب يقوم بسلب وإقصاء سؤال الطفل، وتجعله ناقلًا لأجوبة موروثة من الوالدين، وهنا يكمن الحل فى أننا يجب أن يكون لدينا وعى كافى بما لدى الطفل من إمكانات بدلا من محاولة أن نفرض عليه أسلوبنا فى الحياة وهو أسلوب الايمان بالحقيقة

المطلقة. على سبيل المثال يجب أن ندعم قدرة الطفل على قول "لا" حينما لا يتفق مع رأى آخر، وعلى ألا يسمع فقط دون أن يقدم وجهة نظره مهما كان، وتشجيعه على طرح الأسئلة التى تشغله دون خجل.

إن الأطفال يسألون أسئلة تحتاج منا لاجابات غير تقليدية من قبيل "من أين أتيت؟"، و"لماذا نموت؟"، و"أين الله؟" لماذا أخى ولد بعدى؟ ولماذا جسده لا يشبهنى؟ وما الحب؟[٤١] هل سينتهي العالم؟ لماذا يمرض البشر؟ أين نهاية العالم؟ كيف كنت قبل ولادتى؟ لماذا أنا ولد ولست بنت؟ لماذا لا يمكننى أن أكون كلبًا؟ لماذا هناك حروب؟ من كان قبل أجدادى؟ هل الحيوانات تفكر وتشعر مثلى؟ لماذا يولد بعض الأطفال مرضى؟ أين نذهب عندما نموت؟ لماذا خلق الله الأشرار؟ إذا كان الله هو من خلق الناس، فلماذا يعذبهم في النار؟، وهكذا تتكرر الأسئلة، وكلما أجبناهم، يعاودون بسؤال "لماذا؟"، وربما لا ينتهي الحوار بيننا وبين الأطفال عندما نقول لهم: "لا نعرف".

لا يتوقف الأطفال عن طرح الأسئلة طوال الوقت، فالسؤال هو مفتاحهم لفهم وإدراك العالم. فى اللحظة التى نجد فيها أن المناهج التعليمية التقليدية التى يتلقاها الطفل لا تشجعه على طرح الأسئلة, ولكن تعتمد على الحفظ والاستظهار بالمعلومة، وكلما حفظ الطفل أكثر كلما كان أكثر تفوقًا، وحصل على الدرجات الأعلى فى المدرسة.

لماذا لا نشجع الطفل على طرح السؤال وأخذ هذا الأمر محمل الجد[٤٢]؟ ومحاولة الدفاع عن حقه فى التفلسف, بمعنى إبداء رأيه، لماذا لا نهتم بحق الطفل فى تعلم الفلسفة خاصة فى السنوات الأولى من حياته؟

إن الفلسفة هى قوة علاجية، وليس معنى هذا أنها تسعى إلى أن تكون وسيلة مباشرة للعلاج، فذلك اليوم هدف العلاج النفسى وهدف الطب النفسي، بل معناه أننا عندما نفكر فى الموقف الذى ينبغى اتخاذه إزاء الحياة والموت وإزاء الشفاء وشروط السعادة، يكون لهذا الطرح الفلسفى مفعول مهدىء ومخفف للألم، ذلك أننا عند تعلم التفلسف نكون فى البداية فى وضعية تكوين وليس فى وضعية علاج، غير أن هذا النشاط علاجى فضلًا عن ذلك، ويرى آخرون أنه بما أن الأطفال يطرحون كثيرًا من الأسئلة القلقة أحيانًا، فمن الأجدر إعطاؤهم أجوبة وطمأنتهم فى مواجهة مشكلات الوجود. غير أنه لا يمكن إخماد سؤال وجودى صادر عن طفل بكيفية نهائية لأن الأمر يتعلق بسؤال إنسان راشد، يعاود الانبثاق دوريًا خلال الحياة(٤٣).

لعل دور الفلسفة هنا يختلف في مجالها عمليا عن مجال العلاج النفسى كما يرى جيرد أخينباخ، وأن بينهما فرقا كبيرا، فالمعالج النفسى ينظر لمن يذهب لعيادته بوصفه مريضًا ويحتاج إلى علاج، ويجب عليه أن يقوم بتطبيقات معينة وفقا لنماذج تملى عليه، أما لدى المستشار الفلسفى، فلا يوجد أى إجبار أو إلزام بتطبيق فروض وطرق معينة أو إجراءات محددة سلفا، ولكنه يبحث عن حوار فلسفى حى، وعمل عقلانى، دون فرض لأية قواعد محددة(٤٤).

إن تقديم أجوبة نقدية وتاريخية وقانونية وعلمية عن سؤال يطرحه طفل أمر يمكن تبريره. فنحن نقوم بتلقينه معرفة، بل إن دور المدرسة أن تنقل إلى الجيل اللاحق التراث العلمى الذى أنتجه النوع البشرى، وهو الجواب الذى تم إنتاجه على نحو عقلى عن الأسئلة التى طرحتها الإنسانية خلال تاريخها. لكن الإجابة بدلا من الأطفال عن أسئلة ذات بعد فلسفى (لا يمكن للعلم أن يجيب عنها

كالأسئلة الأخلاقية مثلا)، يحول دون تفكيرهم بأنفسهم. وتلك هى الأسئلة التى على الأطفال أن يجدوا لها أجوبتهم الخاصة خلال حياتهم وعبر نمو تفكيرهم. وهكذا فإن كان علينا ألا نجيب بدلا من الأطفال قبل الآوان، فلا بد لنا من مرافقتهم فى مسارهم حتى لا يظل الواحد منهم خاوى الوفاض. ذلك هو دور المعلمين فى المدارس، إذ عليهم دعم الأطفال فى بحثهم باقتراح مواقف يستطيعون فيها تنمية أدوات التفكير والنقد التى ستتيح لهم فهم علاقتهم بالعالم وبالغير وبذواتهم، وتتيح لهم القدرة على حسن التوجه داخل هذه العلاقة(٤٥).

وفي الواقع فإن الفلسفة والطفل كلاهما يبدأ رؤيته الأولى للعالم من خلال السؤال، وبذلك فإن بداية كلاهما من نفس نقطة التفكير وهو التساؤل حول كل صغيرة وكبيرة تلمس كيان وجودنا سواء كنا صغارًا أم كبارًا، وهنا يصبح التفلسف ضرورة باطنة ورسالة دائمة لا يستطيع الإنسان أن يتخلى عن حمل أمانتها ومسئوليتها, إلا إذا أراد التخلى عن حقيقته كانسان(٤٦).

وبهذا المعنى فإن الفلسفة هى التى تفتح عيوننا على معنى الوجود والعالم، وتضع أيدينا على ما فيهما من إشكال فى ذاته، إلى الحد الذى نكف معه إلى الأبد عن التماس الحلول "النهائية" أو وضعها فى صيغة مريحة أو قالب ثابت من تلك الصيغ والقوالب التى يزخر بها تاريخ الفلسفة. إنها تريد أن تفهم، ولكى تفهم لابد أن تبحث، ولكى تبحث لابد وأن تكون حرة, فليست الفلسفة ولن تكون فى الكتب أو الحروف المكتوبة التى فقدت مع الزمن سحرها القديم(٤٧). كذلك فإننا لا يمكن أن نعطى إجابات جاهزة للطفل من خلالها يمكنه فهم وتحديد رؤيته للعالم، لكنه ينبغى أن يعيش تجارب تساعده على أن يؤسس وجهة نظره وحياة تميزه هو، لا أن تميز غيره.

هناك مفارقة حتى فى اسم الفلسفة. فالفلسفة قد تعنى أن "تحب الحكمة" وليس أن تمتلكها. وهذا هو ما يغضب أولئك الذين يستنطقونها للحصول على إجابات، وليس على تساؤلات. ولكن هذا الحب يجب ألا يكون تعيسًا: فأن تكون قانعًا بحب لا يشبع, يعنى أن تحب الحب، والمعرفة هى حكمة يسعى إليها المرء، ولكى ينالها يجب عليه أن ينكر وينفى إمتلاكها, أى معرفة المرء أن لا يعرف. ولكى ندرك ونفهم ما هى الفلسفة بالتالى, يجب أن نتساءل ماذا عساها أن تكون معرفة أنك لا تعرف؟، وهو تساؤل سقراطى – وما هو نوع تلك العملية المعرفية التى يمكن أن تبدأ بما هو زائف للوصول إلى ما هو أصيل وحقيقى؟(٤٨).

إن الفلسفة تكثر من التساؤلات حتى لقد قال أفلاطون أنها بدأت من الدهشة ولا تبعد عن حياتنا اليومية لأن تساؤلاتها تدور حول هذه الحياة. ونقول أن الدهشة أصل الفلسفة. فنراها كل يوم فى العيون المفتوحة والحواجب المرفوعة والأفواه الفاغرة(٤٩).

ولقد اختلف الفلاسفة اختلافًا كبيرًا حول قضية أن الطفل قادر على أن يمارس الفلسفة فى حياته، فهناك من يرى الطفل "فيلسوفًا على نحو عفوى" بتساؤلاته الوجودية التى لا تتوقف مثل كارل ياسبرز Karl Jaspers (١٨٨٣-١٩٦٩)، وميشيل أونفرى Michel Onfray (١٩٥٩-)، اللذان يعتبران أن التفلسف هو مواجهة سؤال والبحث لمحاولة وجود إجابة عليه، لكن هناك من يعتبر أن التفلسف هو خروج من الطفولة. ويتبنى هذا الرأى فلاسفة مثل رينيه ديكارت(٥٠).

هل يمكننا تقديم تعريف فلسفى للطفل والطفولة؟ فما هى الطفولة؟ هل هى نفسية أم نظرة إلى العالم؟ هل هى بناء تاريخى واجتماعى..إلخ؟ يملك علماء النفس وعلماء الاجتماع والمؤرخون وعلماء التربية مثلا مقاربتهم الخاصة للموضوع. وكذلك الشأن بالنسبة للفلاسفة. ولهم فى ذلك مذاهب مختلفة. ويتعلق الأمر أيضًا بدراسة العلاقة بين الطفولة والفلسفة، وبتساؤلات الطفل حتى الموت منذ سنته الثالثة، وطرحه السؤال "لماذا"، وأسئلته الوجودية والميتافيزيقية حول العالم، والله، والصداقة، والحب، وحول مدلول الكبر والشيخوخة والموت مثلا. فهل الطفل فيلسوف أصلًا؟ هل هو فيلسوف وهل حظه من الفلسفة قليل أم كثير أم أنه ليس فيلسوفا بالمرة؟(٥١).

وفي ذلك يختلف الفلاسفة، فقد كان أبيقور Epicurus (٣٤١-٢٧٠ ق.م) يرى أنه لا يوجد وقت سابق عن آوان التفلسف أو متأخر عنه، وكان الفيلسوف الفرنسى "ميشيل دى مونتين" "Michel de Montaigne" (١٥٣٣-١٥٩٢) يحث على "البدء مع الحاضنة"، على حين أن ديكارت يرى أن الطفولة يجب التخلص منها بالفلسفة كما ذكرنا سالفًا(٥٢).

على كل حال، تبدأ الطفولة منذ أن يبدأ الإحساس بالعالم الخارجى فى التشكل، وتغرب منذ اللحظة التى تتشكل فيها غريزتنا الجنسية، فيقال إن الطفل قد بلَغَ؛ وبالتالى لم يعد طفلًا. وكل طفل سَوِىٍّ يولد فى مكان أليف يحتضنه، كما يقول جاستون باشلار؛ ومن ثم فإن الإنسان لم يُقذف به إلى العالم لُيترَك وحده مع الطوفان كما يظن سارتر. يخرج الطفل من رحم الأم إلى رحم الوجود، وهناك يلقى ضمة الصدر الأولى، والرداء الذى يلفه أو يدثره، والمهد الذى سوف يُهدهَد فيه، ذلك الاحتضان الأول هى ما يبقى معنا طيلة حياتنا(٥٣).

والطفولة كما يقول شوبنهاور هى جنة عدن التى نظل نرنو إليها من ورائنا بعد أن فارقناها[٥٤]، لأنها فترة البراءة التى سرعان ما تتلاشى. هنا فى عالم الطفولة نجد عقولًا صغيرة، ولكنها متحررة من النظر إلى الأشياء فى إطار الذاتية والمصالح الضيقة والحسابات الخاصة... هذا التحرر هو الذى يجعل هذه العقول الصغيرة تثير الأسئلة الكبيرة الخلاقة والمبدعة. ولأن الرؤية هنا بلا حساب؛ فإنها تكون قادرة على تخيل العالم أنَّى تشاء، وهذا هو أصل الإبداع. ولهذا السبب ذاته أمكن لشوبنهاور أن يتحدث عن الصلة بين العبقرية والطفولة[٥٥].

ان التربية اللاهوتية المختلطة بجوانب الثقافة العربية تدمر براءة الأطفال. وتجعل منهم حطبًا اجتماعيًا مبكرًا لجماعات العنف، بينما البراءة هي أهم ميزة تدعونا للاستغراق في حياتنا. لأنها تمثل قيمة مهمة لوجود الإنسان بعيداً عن أية رواسب نفسية. الطفل برئ لكونه كثير اليقظة لما يرغب بشفافية، كما أنه يذهب حيثما يريد طالبًا التعبير عن نفسه[٥٦].

تغدو الأسئلة بريئةً عندما تنطلق بلا وجلٍ ولا حدود، أي يجب أن تُعطى قوة دافعة كامنة في صميمها كمواقف وجودية. ولا بد من الالتفات إلى الآثار التي تلقي بفاعليتها هنا أو هناك. فالسؤال يتولد من البراءة الحرَّة لوعي الإنسان الراغب واليقظ والناقد والمغامر الذي ينغمر بحياته. وحينما تضيع البراءة، فالتكلُّف الممض يلتهم طاقات أي سؤالٍ حيوي نافذ[٥٧].

البراءة كذلك لا تعني السذاجةَ، لكنها الانفتاح البسيط في أوج تداعياته الأولية. البساطة هي أعمق ما تتوافر عليه البراءة من أثرٍ لا ينتهي بسهولةٍ.

لذلك كلما كان السؤالُ بسيطاً، استطاع النفاذ وأصبح أكثر قرباً من التعقيد الخصب الذي يضمن له الفاعلية(٥٨).

يسأل الطفل الأسئلة التى هى وليدة الدهشة, أى وليدة النظرة المعرفية الخالصة للأشياء؛ ومن ثم فإنه يسأل الأسئلة التى لا يسألها إلا الكبار من العباقرة والمبدعين، أما عموم الكبار من البشر فلا يحركهم شيء من هذا؛ لأنهم اعتادوا النظر إلى الأشياء فى إطار مصالحهم الضيقة، وربما يكون هذا مبعث الدهشة التى يبعثها فيهم سؤال الطفل. يسأل الطفل ببساطة الأسئلة الكبرى التى نودَّ أن نسألها، ولكننا نقمعها أو نخمدها بسبب المحاذير أو المحظورات التى كرستها فينا التنشئة الاجتماعية الخاطئة، وحتى إن لم ننشأ فى ثقافة أو تربية قمعية، فإن طول الاعتياد كفيل بأن يجعل الموضوعات تمر بنا مرور الكرام دون أن تدهشنا... دون أن نسأل عنها. أود هنا بيان أن الدهشة ليست هى الاندهاش أو الاستغراب؛ لأن الاستغراب يكون إزاء شيء غير مألوف يقع فجأة على غير توقع منا وعلى نحو غير معتاد، أما الدهشة فإنها تكون دائما إزاء المألوف والمعتاد... هذه الدهشة أصل الإبداع فى الفلسفة كما قال أرسطو، بل أصل الإبداع فى الفن وفى العلم أيضًا.(٥٩).

هكذا، فإن الدهشة المولدة لشرارة الإبداع الأولى هى دائمًا دهشة إزاء المألوف. يسألنا الطفل سؤال الدهشة الأولى: "ربنا فين؟" نجيب إنه فوق السماء، فيسأل: أين هو فى السماء؟ فنقول: إنه ليس فى السماء تحديدًا، وإنما فى كل مكان. ولكن هذا يدعونا إلى التفكير فى الكيفية التى يكون بها الله فى كل مكان! هل لذلك صلة حميمة بمذاهب وحدة الوجود؟! وهكذا فإن سؤال الطفل يصبح

مسألة فلسفية مثيرة للدهشة. أصل هذه الدهشة هو حال البراءة: حال البراءة الدائم الذى يميز الأطفال، ولحظة البراءة الوقتية التى تميز إبداع الكبار(٦٠).

يمكن أن تكون أسئلة الأطفال الصغار فلسفية بعمق، إلا أن بعض البالغين يفشلون كثيرًا في التعرف على ما يقوله الأطفال. فعندما يسأل الطفل، "ما هو الوقت؟" فهذا سؤال مختلف عن "كيف تعمل الساعة؟" وكثيرا ما يطرح الأطفال أسئلة حول بعض المواقف توقف فيها الكبار عن طرح الأسئلة، مثل "لماذا لدينا أرقام؟". وهنا ينبغى أن يتضمن الرد على التساؤل الفلسفي للأطفال من خلال أخذ أسئلتهم بجدية، وللأسف هذا لا يحدث في كثير من الأحيان بما فيه الكفاية. وعادة ما يتم التقليل من شأن الأطفال، عندما نفشل في الاستماع إلى أسئلتهم، أو نقدم إجابات سريعة تخلق المزيد من الأسئلة، أو نرد على ملاحظة جدية للطفل بشكل من اللامبالاه، نضيع فرصة للتفاعل مع تفكير وأسئلة الطفل ورؤيته(٦١).

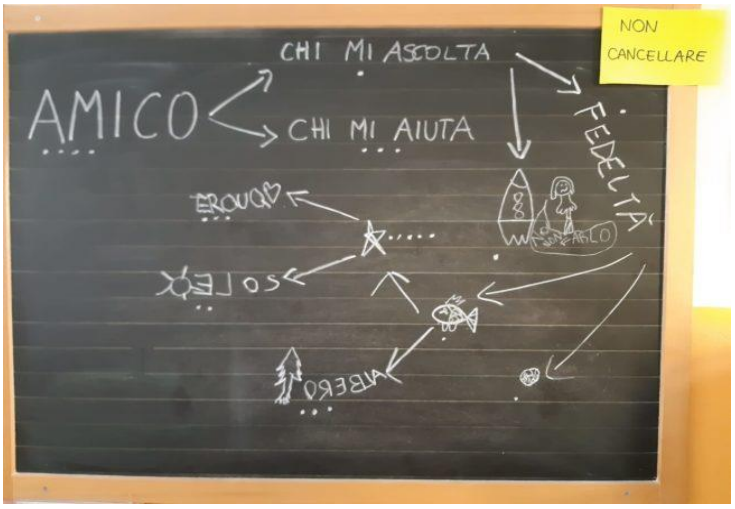

كلمة "صديق""Amico"

ووفقا لهذه الصورة السابقة دار حوار بين الأطفال عن ماذا تعنى كلمة صديق "Amico" وفقًا لوعى الأطفال وفى ضوء قراءة هذه الدراسة قد قام كل طفل بتأويل كلمة "صديق" بأكثر من طريقة, فبعضهم قال صديق هو من يسمعنى, والآخر قال الصديق هو من يقدم لى المساعدة، وآخر ذكر أن الصديق يعنى الثقة أو الآمان، وآخر قال أن الصديق مثل الشجرة، وآخر حدد كلمة الصداقة فى كلمة الشمس, وآخر قال أن الصديق هو القلب، وآخر قال أن الصديق هو من يجعلنى أشعر بالسعادة(٦٢).. إلخ.

ماذا تعنى كلمة الشك""DUBBIO؟

إن تأويل كلمة "الشك" فى الصورة السابقة وفقا لوعى الأطفال بجماليات التأويل ما يلى: وذلك من خلال الترجمة من الإيطالية إلى العربية: فضول، أفكار، حزن، عدم تصديق، عقل، لون رمادى، تشاؤم، إختيار، تفكير، علامات

استفهام؟ نظرة تعجب، محتمل يكون شيء جميل.. إلخ من تأويلات جمالية مهمة قدمها الأطفال أثناء طرح السؤال عليهم(٦٣).

الطفل هو ابن التساؤل بامتياز وجودي إزاء العالم والأحداث. لا يُوجد حالٌ ولا فعل دون أنْ يطرحه للاستفهام مُلِّحاً على معرفته, فالطفل لا يملك من أدوات فكريةٍ ولا معرفية سوى خاصية التساؤل المحير. وهذا فحواه أنَّ التساؤلات بمثابة ذخيرة الكائن الإنساني في مقتبل حياته وطوال مسيرتها, الطفولة هي عملية تَّحرُر نحو الانفكاك من قيود الواقع وإكراهاته(٦٤).

إنَّ مشكلة المجتمعات العربية كونِّها تُعجِّل باستواء الطفل على عوده انتزاعاً للأنثى أو للرجل الذي سيكونه لاحقاً. هي تعطيه لقب الرجولة(الأنوثة) قبل الآوان، فلا هو يعيش زمنه متشبعاً بالمغامرة ولا يلاحق الكبار فيما هم فيه، إنَّه يقف حائراً مقموعاً ليرتدي ثياباً من الوجود المفارق لذاته. إنَّ أطفالاً لا يحيون حياتهم كما هي سائلة ومتعجبة، لكنهم يلعبون أدواراً غريبة لا ينتمون إليها. وبالتالي تصبح النتيجة هي تقليص مساحة الفعل في الحياة(٦٥).

ثانيًا: تعليم الفلسفة للأطفال فى بعض التجارب الدولية.

هناك معهدان جديران باهتمام خاص, إذ تعتبر شبكتهما الأكثر كثافة فى العالم، تعمل ككل موحد ومنسجم، فى خطوات بناءة لصالح تنمية الفلسفة من أجل الأطفال، وقد اعتمد هذان المركزان فى البداية على منهج ليبمان، إلا أنهما ضما فيما بعد مناهج أخرى.

– معهد تطوير الفلسفة للأطفال (IPAC)

- Institute for the advancement of philosophy for children.

تأسس (IPAC) سنة ١٩٧٤، وهو معهد تربوى لا يسعى إلى الربح، أسسته جامعة مونتكلير State University Montclair، وقد ساهم بحظ وافر بصحبة المراكز التابعة له فى إدراج الفلسفة من أجل الأطفال فى برامج المدارس ومؤسسات أخرى عبر العالم. وينتمى (IPAC)[٦٦]، إلى المجلس العالمى للبحث الفلسفى مع الأطفال International Council of Philosophical Inquiry with Children (ICPIC)، وهى شبكة تتكون من فلاسفة ومدرسين ومؤسسات تسعى إلى تشجيع التفكير الفلسفى لدى الأطفال. ويرتبط بهذا المعهد، عبر العالم، العديد من المراكز المهتمة بالفلسفة من أجل الأطفال، وهى مراكز مستقلة وإن كانت تتعاون مع المعهد. وقد تجمع عدد منها فى جمعيات جهوية ووطنية. ويشترط للانضمام الرسمى لمركز ما إلى المعهد أن يكون عضو أو أعضاء من المركز قد تابعوا برنامج الفلسفة من أجل الأطفال الذى تقدمه جامعة مونتكلير، أو حضروا إحدى الدورات الصيفية بالمعهد أو ما يعادل ذلك من البرامج المعترف بها لدى المعهد، كما يقتضى إنجاز إحدى المهام التالية أو بعضها: ترجمة برنامج الدراسات الذى يقرره المعهد ونشره، تنشيط نقاشات فلسفية مع الأطفال فى سن الدراسة؛ تكوين مدرسين يهيئون للبحث الفلسفى مع الطلبة؛ البحث التجريبى والنظرى فى مجال الفلسفة مع الأطفال؛ وضع برنامج جديد للدراسات فى مجال الفلسفة من أجل الأطفال وتجربته؛ التواصل المنتظم مع المعهد بخصوص هذه المهام. وتوجد اليوم مقاربات عدة تتعلق بتنمية برامج الفلسفة من أجل الأطفال، كثير منها ليس من وضع المعهد، فهذا الأخير يتقبل التنوع، ويشجع على التعاون بين الزملاء الذين

يمارسون مقاربات مختلفة على الرغم من أنه يبدى موقفًا نقديًا تجاه البرامج والتربويات الخاصة(٦٧).

– المجلس العالمى للبحث الفلسفى مع الأطفال.

-International Council of Philosophical Inquiry with Children.

هو شبكة تتكون من فلاسفة ومدرسين ومؤسسات تسعى إلى تكوين الأطفال فى التفكير الفلسفى. وقد تأسس فى الدانمارك سنة ١٩٧٥، بهدف تنمية العمل الرائد الذى قام به الأستاذان "ماثيو ليبمان""Matthew Lipman"، و"آن مرجريت" "Ann Margaret Sharp" المنتميان إلى معهد (IPAC). ويتبنى نموذج "جماعات البحث" الذى اقترحه ليبمان لتكوين الأطفال فى الفلسفة والذى يحول العلاقة الروتينية بين التلميذ والمدرس إلى علاقة دينامية وحوارية بين باحث وميسر. كما يتبنى ذلك النموذج أيضًا مركزًا فى المشروع الأوروبى Comeius MENON Developing Dialogue through Philosophical Inquiry, ويتضمن هذا المشروع تدريبًا موجهًا لمدرسى جميع المواد وجميع المستويات، يضطلع به مكونون فى الفلسفة من أجل الأطفال ينتمون إلى أحد عشر بلدًا أوروبيًا، وهو ما يمثل نصف أعضاء مؤسسة SOPHIA (European Foundation for the advancement of Doing Philosophy with Children)، وهى شبكة تعمل على تنمية الفلسفة من أجل الأطفال(٦٨).

كما يوجد عبر العالم عدد من المجلات التى تهتم بالأنشطة الفلسفية مع الأطفال تضم الكثير من الشهادات وتقارير البحث التى من شأنها أن تقدم لمحة مفيدة عن تدريس الفلسفة من أجل الأطفال عبر العالم، من أهم هذه الدوريات

مجلة "Childhood and Philosophy" يصدرها (ICPIC)، وتتضمن مقالات وتدوينات وبرامج دراسية وإعلانات وعروض وبيانات وهى لا تتوجه إلى منظري الفلسفة من أجل الأطفال وممارسيها فحسب، بل أيضًا إلى كل من يهمه أمر تدريس الفلسفة لليافعين، كذلك مجلة "Aprendar a pensar" تنشرها فى إسبانيا المجلة الدولية للمراكز اللاتينية الأمريكية للفلسفة من أجل الأطفال، كذلك مجلة Thinking Critical and Creative Critical، ينشرها مركز "IAPC" منذ عام ١٩٧٩، وتمثل منتدى يتعلق بأعمال المنظرين والممارسين فى مجال الفلسفة من أجل الأطفال. وينشر حوارات وتأملات فلسفية وتقارير ميدانية كما تنشر مقالات حول علم تأويل الطفولة، وهو مجال يقع فى مفترق عدة تخصصات تشمل الدراسات الثقافية والتاريخ الاجتماعى والفلسفة والفن والأدب والتحليل النفسى. وتقدم هذه المجلة أيضًا نقد الكتب التى تتعلق بالفلسفة والطفولة سواء كانت أعمالًا فلسفية أو أعمالًا خيالية أو سيرًا ذاتية أو أعمالًا تاريخية أو تربوية أو نظرية أو اختبارية تجريبية أو ظاهراتية أو شعرية أو غيرها(٦٩).

ثالثًا: دراسات لبعض الحالات عبر العالم.

ألمانيا:

يوجد بها قطبان هامان، أحدهما تكون حول أعمال إيكهارد مارتنز Ekkehard Martens (جامعة هامبورج), والثانى حول هيرب كارل فريدرك Herb Karl Friedrich (استاذ كرسي التربية في مجال الفلسفة السياسية وتاريخ الأفكار بجامعة ريجنزبيرج Regensburg). أما الأفكار التى تسود فى

هذه الحركة فإنها ترى أن مسألة مساعدة الأطفال فى التحكم فى أزمة البحث عن سُبل الحياة والبحث عن الهوية التى يتسم بها عصرنا، فالتفلسف تحاور قبل أى شىء وهو تفسير معرفتنا النظرية والعملية وتبريرها انطلاقًا من المشاكل المعاصرة اليومية التى يجب على التلاميذ مواجهتها، وتشجيعهم على التفكير فيها بأنفسهم، ويحلل الأستاذ مارتنز Martens أربع مسارات كبرى أسسها تأسيسًا فلسفيًا(٧٠):

١. مسار الحوار/ الفعل فى العرف الأفلاطونى الذى يسعى إلى ثلاثة أهداف: التفكير اعتمادًا على الذات، والتفكير الجماعى، وتطوير الشخصية.

٢. تحليل المفاهيم ويحيل إلى ولع الأطفال باللعب بالكلمات وإبداع لغة سرية، مما يمكنهم على الخصوص من بناء المفاهيم.

٣. الدهشة, وتدعو إلى تناول التساؤلات الفلسفية الكبرى مثل السعادة(٧١) والحرية، والزمان، واللغة، والهوية.

٤. فلسفة التنوير من أجل الأطفال التى تعود إلى مبدأ إيمانويل كانط "أجرؤ على التعرف" "Sapere aude". وقد أسس هيرب Herb, مبادرة "الفلسفة للأطفال"Children Philosophize، التى تطمح إلى إرساء الفلسفة فى محيط الأطفال التربوى المعاصر، وتعمل إلى جانب المدارس الأولية والابتدائية على وضع مناهج علمية وموجهة تشجع الأطفال على المشاركة السياسية، وقد تم عبر هذه المبادرة، تطوير برامج تكوين موجهة للأساتذة وبرامج دراسية بجامعة ميونيخ(٧٢).

وفى المسرحية الألمانية "أنا هو أنا" "Das kleine ICH BIN ICH" التى عرضت فى أكتوبر عام ٢٠١٦ على مسرح الطفل بفيينا– النمسا، وهى

مسرحية موسيقية للأطفال ابتداء من عمر أربع سنوات، تم عرضها بأكثر من لغة من بينها اللغة العربية، تدور حول تعليم الأطفال البحث عن سؤال جوهرى فيما يجب أن يتعلمه الطفل وهو معرفة النفس أو الذات "من أنا"، فكل إنسان وفقا لسيناريو المسرحية له قيمته فى ذاته، والطفل الصغير فى بداية ووسط المسرحية لا يعرف من هو، لكن فى نهاية المسرحية وبشروق الشمس قال "أنا هو أنا"، وهنا دارت كل أحداث المسرحية بشكل به تناغم حول هدف رئيس وهو أن الطفل بداية من عمر الأربع سنوات أهم ما يشغله هو اكتشاف نفسه أو التعرف على نفسه.

داخل أحداث المسرحية نجد حيوان صغير يسأله الضفدع: من أنت؟ وفى حيرة من أمره يقول: لا أعرف! ويبدأ فى البحث عن جواب فيسأل حيوانات، وأسماك، وكلاب، وفرس نهر، والبقر، والماعز، والأغنام، وكل منهم يقول: "بك جزء صغير منى يشبهنى ولكن أنت لست مثلى. وفى النهاية يقول لنفسه "أنا هو أنا"(*).

إن أهمية هذه المسرحية تنبع من قصدية استخدام المسرح لترغيب الأطفال فى الفلسفة من خلال الخبرة بالمسرح, وبوصفه مكان للتعبير عن الذات، لا يكون هنا السؤال مباشر للأطفال عن معنى الحياة أو العالم، ولكن الاهتمام ينصب بشكل مباشر على عالمهم الخاص، هنا المسرح لا يكون من أجل الأطفال وكفى، لكن المعايشة مع الأطفال أنفسهم، من خلال القصص التى تحتوى على طابع فلسفى، والحكايات التى تحتوى على أسئلة مهمة للأطفال من قبيل من أنا؟ وهنا ندخل معهم فى حوار ثرى من خلال هذا السؤال. وهنا تأتى الفرصة مباشرة كى نتعلم سويًا مع الأطفال، وليس التعامل معهم بأننا المصدر

الوحيد لمعلوماتهم، هنا نتعلم معهم القدرة على حرية التعبير، والتفكير دون حدود وأطر ثابته تركز على فكرة الإجابة الواحدة، وعندما نصل إلى ذلك فإن أسئلة الأطفال تتحول من كونها عادية إلى كونها تعبيرعن بطولة للطفل، وهذا الإحساس البطولى يجعل الطفل فى كل مرة ذاته تقترب من حب الفلسفة من خلال مجموع المعارف التى يتلقاها.

إسبانيا:

تم تأسيس مركز الفلسفة من أجل الأطفال سنة ١٩٨٧ بوصفه فرعًا للجميعة الإسبانية لأساتذة الفلسفة (SEPHI). وقد أطلق عدة أنشطة منها إصدار سبع روايات لماثيو ليبمان بالإسبانية بمصاحبة أدلة تدريسها، وتكوين المدرسين من خلال دورة سنوية من ستة أيام وتكوين وطنى وإصدار منشورات مثل دوريات ورقية والمجلة الإلكتروني(٧٣).

الولايات المتحدة الأمريكية:

تأسس عندهم برنامجًا بعنوان "الفلسفة فى المدرسة". وقد تأسس مركز تطوير الفلسفة فى المدارس "Center for the Advancement of Philosophy in the Schools" (CAPS) سنة ٢٠٠٠ بجامعة ولاية كاليفورنيا في لونج بيتش "Long Beah"، ويتحمل فيه الأستاذ Debbie Whitaker مسئولية فصل بعنوان "فلسفة وتربية" وتمثل فيه أهمية خاصة الألعاب والأغانى المصورة والقصص القصيرة والقصائد أيضًا جزءًا من التكوين ومحركًا حقيقيًا قى ممارسة التفكير النقدى(٧٤).

كذلك عندهم تجارب متعددة موجهة إلى المدرسين والآباء والأطفال وهواة الفلسفة وأدب الأطفال، ويتعلق المنهج لديهم بالممارسة إنطلاقًا من كتاب تتم

قراءته مع إقتراح مجموعة من الكتب المختارة الموجهة للأطفال، ذات المضمون الفلسفى يصاحبها ملخصات فلسفية(٧٥).

إيطاليا:

يوجد بإيطاليا اليوم العديد من المكونين والجامعيين الذين يمثلون مراجع قيمة فى مجال الفلسفة من أجل الأطفال. فهناك مركزان للبحث والتكوين دخلا مرحلة الاشتغال بهما وهما:

–مركز البحث للتدريس الفلسفى, ويوجد بروما.

-Centro di Ricerca per l'insegnamento filosofico (CRIF)

–مركز متعدد التخصصات للبحث التعليمى في الفكر.

-centro interdisciplinare di ricerca educativa sul pensiero.

وتركز هذه المراكز على الأنشطة التجريبية وفى الأبعاد الابستمولوجية والمنهجية للفلسفة من أجل الأطفال، والعلاقة الوثيقة بين الفلسفة من أجل الأطفال وبين النقاش حول الممارسات(٧٦).

وقد أصبحت الأدبيات الوطنية تتوفر على متن لا بأس به يمكن العثور عليه فى مجموعة "نتعلم لنفكر" "Impariamo a pensare"، التى يصدرها الناشر "Liguori" فى نابولى، وهى مجموعة تضم كل العدة التعليمية من قصص فلسفية وكتب للمدرسين، خاصة الجزء الذى يحمل "فلسفة وتكوين"، وقد صدرت مقالات أخرى عديدة فى مختلف المجالات المتخصصة. والنتيجة الأكثر دلالة هى أن التكوين على استعمال الفلسفة من أجل الأطفال يصبح، إن هو تم على نحو ملائم، تكوينا يمس كل مجالات المهنة وينحو إلى أن يشمل الشخص فى كليته، سواء فى أبعاده المعرفية أو الابستمولوجية أو النفسية. وهذا كله يضع

الفلسفة من أجل الأطفال فى صميم المشهد التعليمى الحالى بإيطاليا، خاصة بسبب الإصلاحات الحديثة التى تدور حول مبدأ الاستقلالية(٧٧).

غالبا ما يعتبر النموذج الإيطالى فى تدريس الفلسفة فى المدرسة نموذجًا مثاليًا يركز على تاريخ الفلسفة، من ذلك أن الفلسفة تدرس فى السنوات الثلاثة الأخيرة بمرحلة الثانوية العامة الشعب الأدبية والعلمية، منطلقة من طاليس إلى الفلاسفة المعاصرين، وقد أتاحت أحد المؤتمرات في عام ٢٠٠٣ من خلال الجمعية الفلسفية الإيطالية (SFI) أن يحدد وضع التطورات والآفاق الخاصة بمنهج التدريس هذا(٧٨).

كما يوجد فى إيطاليا برامج بروكا Brocca نسبة إلى بنيامينو بروكا Beniamino Brocca، تقترح تدريس الفلسفة داخل جميع شعب التعليم بالسلك الثانوى بما فى ذلك الشعب التكنولوجية والاقتصادية والمهنية، لأن المقصود هو منح كل تلميذ إمكانية التوفر على قاعدة أساسية لنضجه فى مرحلة بطبعها التعقيد وسرعة التحولات، ويتعلق الأمر بمساعدته على التوجه اعتمادًا على ذاته وفهم الواقع بدراية، واكتساب الوعى بالقيم وإعادة بلورة المعرفة بكيفية مستقلة، وباختصار، إتاحة الإمكانية للتلميذ لكى يكون قادرًا على إسقاط ذاته فى المستقبل سواء عند اتخاذه القرارات للتوجه فى دراساته أو فى نشاطه المهنى أو وفق قدراته على المشاركة بطريقة مبدعة فى الحياة الاجتماعية. إن حضور الفلسفة فى التعليم جعل هناك قدرة على تكوين موقف نقدى، وإتاحة علاقة رشيدة بين المعارف، وتفكير حول شروط وجودها ودلالتها، وتنشيط عملية التواصل داخل التجربة التعليمية، من خلال علاقات التبادل الخاصة بالحوار

لتكوين علاقة بين الفلسفة والذات المتعلمة. وهذا ما أكده ماريو دى باسكوال مسئول اللجنة التعليمية للجمعية الإيطالية الفلسفية بإيطاليا(٧٩).

رابعًا: تعليم الفلسفة فى إفريقيا والعالم العربى.

تحضر الفلسفة من أجل الأطفال حضورًا ضعيفًا فى إفريقيا، وإن كان من الممكن العثور على ثلاث جامعات على هذا المجال فى أفريقيا فى كل من كينيا (شعبة الفلسفة بجامعة كينياتا)، وفى نيجيريا (معهد التربية)، وكذلك فى جنوب إفريقيا، جامعة Western Cape، كلية التربية(٨٠).

أما فى العالم العربى، فلا يبدو أن هناك مركزًا يهتم بشكل مباشر بالفلسفة من أجل الأطفال. هناك فراغ فى هذه المنطقة بخصوص هذا المجال، وهذا أمر من شأنه أن يثير التساؤل. لقد ناقش الفلاسفة العرب فى العصر الوسيط بشدة قضايا أساسية بالنسبة إلى هذه الإشكاليات، ولا زال النقاش مستمرًا إلى اليوم خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الإيمان والعقل، وهى علاقة حاسمة فى تصور تربية الأطفال وممارستها. وما يتم استدعاؤه هنا هو الوضع الاجتماعى والمدرسى للطفولة ودور المدرس فى تربيتها ومكان العقل فى تفتح فكرها ووظيفة الفلسفة فى هذا المسار(٨١).

على أن الهدف من هذه الدراسة ليس إحصاء جميع الدراسات التى تمت فى العالم بخصوص السؤال الفلسفى عند الأطفال, لكنها محاولة لمد القارىء بمجموعة من المعلومات والأسئلة المستندة إلى الحالة الراهنة للفلسفة من أجل الأطفال فى العالم، إن الفلسفة من أجل الأطفال تمثل تجديدًا فى تاريخ تدريس الفلسفة فى العالم، وهنا يتم وضع عدة تساؤلات حول الطفولة والفلسفة والتفلسف

وتعليم الفلسفة وتعلم التفلسف، كما يجد تفسيره فى كون العديد من الجامعيين، خاصة الفلاسفة منهم قد انخرطوا فى تحفيز هذه الممارسات وتحليلها, حيث مر على هذه التجربة خمس وثلاثون سنة(٨٢).

ومن الواضح أننا ما زلنا نحتاج إلى عمل كثير لتنمية هذه الممارسات فى المنطقة العربية، غير أن الأمر لا يتعلق البتة باقتراح نموذج كونى قابل للاستيراد، ففى ذلك تغاض عن تنوع الأوضاع الاجتماعية والسياسية وتعدد السياقات الثقافية وتاريخ النظم التربوية والسياسات المتبعة فى هذا المجال. وإنه لأمر مستحب أن تتعدد الممارسات وأن تتنوع السُبل التربوية والتعليمية، ذلك أن سُبل الفلسفة ذاتها متنوعة ومتعددة، إن الاستراتيجيات المقدمة متباينة وأكثرها ملاءمة هى تلك التى تقبل الثقافات المغايرة بما تحمله من غنى وثراء(٨٣).

تتعلق الفلسفة بالخصوص بفحص الحجج وتقييمها على نحو نقدى، وبالقدرة على إخضاع مشاكل معقدة لتحليل نقدى مفصل، فكل حامل شهادة فى الفلسفة سيكون قد حصل على تكوين من شأنه أن يمنحه كفايات فى الفكر النقدى وتحليل الحجج ونقدها، ويحصل الحاصلون على الشهادات فى الفلسفة فى نهاية تكوينهم على مؤهلات تمكنهم من العمل فى عدد من المجالات.

على سبيل المثال إن الشركات الاسترالية الكبرى أصبحت تدرك تدريجيًا قيمة التأهيلات المحصلة من التكوين فى الفلسفة. ومن نافلة القول أننا نعيش فى زمن تزداد فيه التغيرات بسرعة، خاصة فى مجالات مثل التكنولوجيا والإعلام, والمؤهلات التى ستظل ثمينة فى المستقبل هى التى تتوفر لديها القدرة على التفكير المنطقى المستقل والنقدى، وتطبيق هذه القدرة على مجالات جديدة، وهذه هى المؤهلات التى ينميها التكوين فى الفلسفة، بقيمة خاصة بالنسبة إلى

المهن والأنشطة الخاصة، ويمكن الاستفادة من إدراجها فى مختلف البرامج الدراسية بوصفها دروسًا إختيارية للتوظيف(٨٤).

وفى مصر تدرس الفلسفة فى مستوى التعليم الثانوى بوصفها مادة منفصلة، وذلك فى كليات الآداب وكليات الفنون وكليات التربية وكليات الدين وكذلك فى كليات الدراسات العربية والإسلامية مثل كلية دار العلوم بالقاهرة، ويقدم قسم الفلسفة فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة مكونًا أساسيًا ومكونًا ثانويًا فى الفلسفة. وتطرح الدروس أسئلة صادرة عن التفكير فى الدين والأخلاق والفن والسياسة والعلم ونظرية المعرفة، ولهذه الدروس عناوين هى على الخصوص فى الفكر الفلسفى، والمنطق الصورى، الذات والمجتمع، فلسفة الدين، مدخل إلى الأخلاق، الفلسفة السياسية، والفلسفة والفن، الفلسفة القديمة، الميتافيزيقا، الفلسفة الإسلامية(٨٥).

من الضرورى أن يتعلم الأطفال ما يسمى بفكرة "لعبة التفكير" التى تفرض احترام قواعد أساسية ثلاثة: رفع الأصبع للاستئذان بالتدخل, عدم مقاطعة الغير، والاستماع للرفاق(٨٦).

***

والخلاصة .. لقد باتت الفلسفة من أجل الأطفال ضرورة واتجاهًا عالميًا اهتمت بتطبيقه العديد من الدول فى مناهجها على مستوى العالم. وهذا الاتجاه لم ينشأ من فراغ بل نتيجة سيطرة الأصوليات الدينية على المؤسسات بسائر قطاعاتها على حياة الطفل من خلال الهيمنة عليه. من هنا ركزت هذه الدراسة على الاهتمام بالحاسة النقدية لدى الأطفال من خلال الاهتمام بفتح حوار مع

الأطفال الصغار حول أسئلة يحاول أن يجد إجابات حولها، وهذه الإجابات لا تفرض على الطفل بوصفها إجابات إحادية المعنى أو ذات أصل واحد، بل إن الحوار الجماعى يبرر للطفل نسبية الأجوبة وتعددها، وهنا تأتى أهمية الوعى الجمالى، وهو ما يراه الباحث ضرورة من أجل تعلم الطفل معانى مهمة مرتبطة بقيم الحياة, وتقبل رأى الآخرين, وأن أية إجابة تحتمل الصواب والخطأ، وهذا ما يؤهل الطفل على أن يفهم جيدا معنى مهم مثل الديمقراطية بصورتها الحقيقية.

تقدم الفلسفة من أجل الأطفال ليس عن طريق تقديم موضوعات تتسم بالتعقيد والغموض والصرامة، لكن هناك حرص على تقديم الفلسفة للطفل فى ضوء عالمه الخاص المرتبط بقيم مثل اللعب والدهشة والشغف والتلقائية والبراءة وعالم الخيال، ففى ضوء هذا العالم من الممكن أن نجد لدى الطفل أسئلة مهمة للغاية تتعلق بقيمة وجوده، والله، والموت، والعدالة، وهى أسئلة مهمة فى الفلسفة، هنا يمكن القول إن الفلسفة هى الطفولة الدائمة للفكر.

وعندما نساعد الأطفال على تعلم الفلسفة في عمر مبكر من خلال أن نضع فى الاعتبار أسئلتهم كنقطة جوهرية، نستطيع مساعدتهم فى تنمية الاحساس بالوعي الأخلاقي والجمالي والسياسي وبرؤى الحياة المختلفة، والقدرة على التعبير عن أفكارهم بوضوح، فلا يمكن تنمية القدرة على الحياة لدى الطفل بدون تنمية قدرته على التفكير وبالأخص التفكير النقدى، حيث له ضرورة فى فى عدم إيمان الطفل بالأوهام والغيبيات التى تتسرب له عبر التنشئة الأولى.

لكل هذا فإن هذه الدراسة تؤكد على مقومات يجب أن ننظر لها بجدية من خلال إعطاء الاهتمام الكافى بسؤال الطفل، أولها أن يتم التركيز من خلال الحوار مع الطفل على المبدأ التالى "أنا هو أنا" و"أنت هو أنت" بمعنى أننى لا

يمكن أن أعيش شخصية أحد ولا حياة أحد مهما تكن طبيعتها وقيمتها بل يجب أن أنطلق من فهم نفسى، بمعنى لا أعيش حياتى داخل حياة الآخرين، بل أعيش حياتى مع اهتمامى بالآخرين، وهذا درس تعلمناه من فلسفة سقراط وينبغى أن يدرس إلى الطفل، وقد عرضنا لفكرة مسرحية للطفل تم عرضها بمسرح الطفل بفيينا، وانتهت فكرة المسرحية بالمبدأ التالى "أنا هو أنا" و "أنت هو أنت"، وجدير بالذكر أن الراوى فى هذه المسرحية هو الفنان المصرى السيد قنديل، الذي يعيش في فيينا قبل عدة سنوات.

ومن خلال سؤال الطفل من الممكن أن نعلمه قيما جيدة افتقدنا معظمها فى حياتنا، مثل كيف لى أن أصنع المتعة من خلال الاهتمام بقيمة اللعب؟ كيف لى أن أكون سعيدا بأيسر الوسائل؟ تشجيع الطفل على حب الموسيقى، والطبيعة، والرياضة، والقراءة، والفن والجمال. وبهذه القيم يمكننا الارتقاء بوعى الطفل وتكوين وعيه النقدى تجاه أى سلطة تحاول الهيمنه على عقله وتحتله لصالحها لتفعل به ما تشاء، لأنه فى حالة وجود هذه الهيمنه سنعانى أكثر فى مجتمعنا من العنف والأرهاب وثقافة الرأى والبعد الواحد, وهذا ما يسعى إتجاه الفلسفة من أجل الأطفال لنقده من أجل أن يعيش الطفل ويبدأ حياته بطريقة سوية، وهنا يأتى دور الفلسفة فى مساعدة من يعيشون حياة شديدة القسوة، أو من خاب آمله، ويبحثون عن حلول من خلال الفلسفة.

لقد تبنت هذه الدراسة محاولة مهمة وهى الدفاع عن دور الفلسفة فى صنع حياة الطفل، وهنا يمكن التأكيد على أن دور الفلسفة لا يتوقف عند تقديم نصوص فلسفية وكفى، بل يتمثل دورها الجوهرى في أن تجعلنا قادرين على الحياة ومواجهة ظروفنا القاسية، وإن عدم الاهتمام بتدريس الفلسفة على سبيل

المثال فى الكليات العملية مثل الطب والهندسة والصيدلة هو السبب وراء ظهور نماذج متطرفة وإرهابية، لأن هذه النوع من الكليات لا يركز على قيم مثل الحوار والجدل، إن العديد من خريجى الطب يفتقد لمهارات الحوار بالمعنى الفلسفى, أو المعنى الذى تركز عليه العلوم الإنسانية، ويتعامل مع المرضى بشكل ميكانيكى تمامًا، وهنا فإن من النتائج التى توصى بها هذه الدراسة التركيز على أن تعليم الفلسفة للأطفال فى غاية الأهمية حيث يتم تنشئتهم بشكل مختلف عبر الاهتمام بقيم مهمة ركزت عليها الدراسة مثل قيمة الحوار واحترام الآخر، وأعنى هنا احترام الآخر أى الاهتمام بسؤاله، والسؤال هنا يأتى بمعنى الحاجة، وهى افتقاد الإنسان لشىء ما.

لقد أكد دكتور قدرى حفنى أستاذ علم النفس فى برنامج أذيع على قناة "CBC" أن نسبة كبيرة من الإرهابيين فى ثمانينات القرن العشرين خريجى كليات الطب والهندسة والعلوم, كما لاحظ أن نسبة كبيرة من خريجى كليات الطب والعلوم والهندسة لا يفهم مناهج البحث أو الاتصال Communication والإقناع Persuasion، كما ينظر طلاب الطب للعلوم الإنسانية على أنها علوم سهل إكتسابها، وأنهم أفضل حيث يدرسون على أساس الأصولية العلمية وغير مسموح بالتشكيك فى المسلمات، وهنا من السهولة إستبدال الأصولية الدينية مكان الأصولية العلمية، وهذا عكس ما تعلمنا إياه الفلسفة حيث لا يوجد واقع أو مسلمة ويمكننا تكذيب كل شيء ما دامنا لم نصل الى تصديقه، وفى اعتقاد الباحث أن هذا مبدأ جوهرى ينبغى أن نركز عليه فى تعليم الفلسفة للأطفال.

إن الوعى بهذا الدور للفلسفة ليس بشىء جديد. ونجد أفضل أمثلته فى حوارات أفلاطون، حيث يحاول سقراط أن يجعل محاوريه على وعى بجهلهم

بشيء يفترضون معرفتهم به، ومن ثم يساعدهم على إدراك فائدة المعرفة الفلسفية(٨٧). وهذا يعد تحديا من الفلسفة لنا جميعًا، ويتصل مباشرة بالتعليم الفلسفى وذلك كرؤى أخرى معينة, تسهم فى إضفاء الإنسانية على الأفراد، إن الفضائل حسب ما قاله أرسطو سواء كانت أخلاقية أو فكرية، ما هى إلا قدرات، ونحن نكتسب قدراتنا، كما هو معروف، فى سن مبكرة، لا سيما ما كان عميق الجذور فيها، والقدرة على الربط الصحيح بين الأشياء والتفكير الواضح الذى يتسم بالنظرة النقدية، وعدم فقدان الهدف عند الحكم على الأشياء واستنباط المفاهيم، واستيعاب المشكلات الأخلاقية فى المواقف التى نواجهها، كلها قدرات نحتاج لتنميتها مهما كان ما نفعله فى حياتنا، فهى قدرات تحتاج للتنمية مبكرًا كلما أمكن، ومن الممكن تنميتها عن طريق التربية الفلسفية(٨٨).

وعلى الرغم من الدور الحيوى للتربية الفلسفية، إلا أن الفلسفة لا تدرس على الاطلاق فى مرحلة ما قبل الجامعة فى العديد من البلدان، أو إن كانت تدرس، فإن ذلك يحدث دون أى ربط بينها وبين الحياة اليومية، مع استثناءات قليلة، فكيف يتسنى لنا تغيير الموقف؟(٨٩)

هنا يأتى الهدف من وارء دراسة الممارسات الفلسفية فى الحث على البحث والتحقيق، ومن ثم معاونة المتدربين على طرح أسئلة تتصل بحياتهم وبيئاتهم، وهى أسئلة يجيب عليها المدربون عن طريق أسئلة أخرى، حتى يستطيع المتدربون عن طريق التفكير والربط بين الأشياء العثور بأنفسهم على إجابات لأسئلتهم. ويفترض ذلك سلفًا معلمين مدربين جيدًا وقادرين على استخدام أسلوب سقراط فى التساؤل والتحقق(٩٠).

من التوصيات التى تنادى بها هذه الدراسة ضرورة وضع الأطفال على مسار البحث الفلسفي في وقت مبكر من الحياة، وهذه هدية عظيمة يمكننا تقديمها لأطفالنا من خلال الاستفادة من أسئلتهم، وهنا ينبغى التركيز على وعي الأطفال بالأبعاد الأخلاقية والجمالية والسياسية للحياة، والقدرة على التعبير عن الأفكار بوضوح وتقييمها بأمانة، والثقة لممارسة استقلاليتهم، وكيفية استخدام العقل لحل الخلافات التى تواجهنا.

ولقد لاحظت بعض الدراسات على سبيل المثال فى مجال علم الجمال غياب الاهتمام بالوعى الجمالى عند الطفل، ذلك الوعى الذى لا يقل أهمية عن الوعى العلمى أو الاجتماعى أو النفسى أو البيئى، لان الوعى الجمالى يمكن أن يكون الخلفية التى تتحرك عليها زوايا الأنشطة المعرفية الأخرى للطفل، كما إنه من المرونة أن يوظف فى مجالات متعددة من أنشطة الطفل العلمية، والأخلاقية والدينية، والبيئية، كذلك هو أقرب إلى الطاقة التى تدفع وتحرك وتحرض ملكات الطفل أن تعمل متناغمة وعلى نحو متجدد دائمًا[٩١].

إن أغفال هذا الجانب فى سنوات الطفل الأولى له علاقة بما نراه من مظاهر القبح والفوضى فى مجتمعاتنا، والانحرافات المتعددة كالإدمان، والانحراف الخلقى والهوس الدينى, التى نلاحظها جميعًا. إذ إنها تعبر عن اللا توازن بكل أشكاله فى الإنسان، واللا توازن يعنى فيما يعنيه ضياع الوحدة وتبدد التناغم فى الإنسان[٩٢].

هوامش الدراسة

(١) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, منشورات اليونسكو, الطبعة الأولى, باريس, ٢٠٠٩, ص٥, ولمزيد من التفاصيل حول موضوع الفلسفة للأطفال "P4C" يمكننا الرجوع الى هذه الدراسة على الفلسفة للأطفال وبالتحديد على الفيلسوف وعالم النفس ماثيو ليبمان "Matthew Lipman":

Arianna Ioli, Infanzia e filosofia. Un approfondimento sulla Philosophy for Children di Matthew Lipman, NURTURE o dell'educazione libertaria,
https://www.roots-routes.org/infanzia-e-filosofia-un-approfondimento-sulla-philosophy-for-children-di-matthew-lipman-di-arianna-ioli/

- Stephen Gorard, Nadia Siddiqui and Beng Haut, Philosophy for Children, Evaluation report Executive summary, Education Endowment Foundation(EFF), Durham University, July 2015, pp. 3,7.

(2) Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini di 4-7 e 8-11, fondazione collegio San Carlo di Modena, III edizione, 2016, p.5

(٣) على سليمان الصوالحة, يسرى راشد العويمر, على مصطفى العليمات, علاقة الألعاب الالكترونية العنيفة بالسلوك العدوانى والسلوك الاجتماعى لدى أطفال الروضة, مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية, فلسطين, المجلد الرابع (ع) (١٦)- ٢٠١٦ , ص١٨٠.

كذلك يمكن الرجوع الى كتاب منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, ص xvii.

(4) Achenbach, Gerd B, La consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, traduzione di Raffaella Soldani, saggi universal economica Feltrinelli, prima edizione, MilanoM Giugno 2009, p. 19, si veda anche qui il libro di Achenbach, Il Libro della Quiete interiore, trovare l'equilibrio in un mondo frenetico, traduzione di Raffaella Soldani, Apogeo, Prima edizione Italiana, Milano, 2005, p. 155.

(5) سعيد توفيق, رؤيتى للفن بوصفه رؤية لمعنى ما, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الطبعة الأولى, ٢٠١٧, ص٣٤.

(6) سعيد توفيق, الخاطرات سيرة ذاتية فلسفية, منشورات بتانة, القاهرة, ص٢٥.

(7) منير البلعبكى, معجم أعلام المورد, موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاه من موسوعة المورد, إعداد دكتور رمزى البلعبكى, دار العلم للملايين, الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢, ص ٢١٨.

(*) انظر سعيد توفيق, الخاطرات سيرة ذاتية فلسفية, لوحة "سن البراءة" The age of Innocence", مرجع السابق, ص٢٥.

(8) سعيد توفيق, الخاطرات سيرة ذاتية فلسفية, مرجع سابق, ص ٢٢, ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكتاب سعيد توفيق, الفن تمثيلًا رؤيتى للفن بوصفه رؤية لمعنى ما, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الطبعة الأولى, ص ٤٦.

(9) الفريد ل. هال كويست، مقدمته لكتاب: جون ديوى، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان و نجيب اسكندر، راجعه محمد بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦.

(10) جون ديوى, الخبرة والتربية, ترجمة محمد رفعت رمضان و نجيب اسكندر, مراجعة محمد بدران, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧, ص٦.

(11) المصدر السابق, ص ٧.

(١٢) جان جاك روسو, إميل أو التربية, ترجمة عادل زعيتر, تقديم محمود كامل الناقة, المركز القومى للترجمة, العدد (١٩٥٣), القاهرة, ٢٠١٥, ص٨.

(١٣) المرجع السابق, ص٩

(١٤) المرجع السابق. صص ٩, ١٩, ٢٠.

(15) Gerd B. Achenbach, La consulenza filosofica, convegno l'associazione Stampa Romana, VenrdÌ 13 Giugno 2008, p.22.

(16) Achenbach, Gerd B, La consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, 2009, op.cit, p. 35.

- كذلك يمكن الرجوع هنا لدراسة سامح الطنطاوى, الاستشارة الفلسفية عند جيرد أحينباخ, منشورة بمجلة أوراق فلسفية, إصدارات ملتقى الفلاسفة العرب, العدد (٦١), القاهرة ٢٠١٨ , ص١٩٧ .

(17) Achenbach, Gerd B, Sapere Vivere, per una vita piena di significato e di valore, Apogeo, Milano, 2006, p. VIII.

(18) Achenbach, Gerd B, La consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, op.cit, pp24-34.

(١٩) لافين، ت. ز، من سقراط إلى سارتر، ترجمة أشرف محمد كيلانى، مراجعة وتقديم سعيد توفيق، المركز القومى للترجمة، رقم العدد (٢٠٨٢) ، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٢، ص ٣٣.

(٢٠) أروسيو، أليزابيتا، مقابلة مع جاكو هينتكا، ترجمة محمد البهنسى فى مجلة ديوجين، العدد ١٩٢ / ١٩٣ ، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، يناير ٢٠٠٣ ، ص ١٠١.

(٢١) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٧ .

(22) Isabella Paglia, in Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini di 4–7 e 8–11, fondazione collegio San Carlo di Modena, III edizione, 2016, p.5

(23) Jana Mohr Lone, Philosophical Inquiry in Childhood, 14 JULY 2018, in 1000- Word, Philosophy, an introductory anthology, for more information you can see this site: https://1000wordphilosophy.com/2018/07/14/philosophical-inquiry-in-childhood/

(24) Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini, op. cit., p.5

(25) Badami A., *Arte Contemporanea: l'espressione artistica come opera aperta*, i edizione, Palermo, - DCT 1999. p. 28.

(٢٦) ماجد محمد حسن, السؤال الفلسفى, دراسة منشورة على موقع الحوار المتمدن, العدد ٧٩٣, ٢٠٠٤, بتاريخ ٣ / ٢٠٠٤/٤ الساعة 07:45, وتم الاطلاع على الدراسة فى يوم ١٧ ابريل ٢٠٢٠ .

(٢٧) المرجع السابق.

(٢٨) كورامیسن, سقراط الرجل الذى جرؤ على السؤال, ترجمة محمود محمود, مقدمة بقلم حسن جلال العروسى, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٥٦, ص (ز).

(٢٩) عبد الغفار مكاوى, لم الفلسفة مع لوحة زمنية بمعالم تاريخ الفلسفة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٦ , ص ٩.

(٣٠) المرجع السابق, ص٨٣.

(٣١) المرجع السابق, ص٩٢ .

(32). B. Raabe, Peter, Teoria e pratica della consulenza filosofica, idee fondamentali metodi e casi di studio, traduzione e revisioni Neri Pollastri, Apogeo, Milano, 2006, p.XVII.

(٣٣) جان هرش, الدهشة الفلسفية (تاريخ الفلسفة), ترجمة محمد آيت حنّا, الطبعة الأولى, بيروت- لبنان, ٢٠١٩, ص ٣٠ .

(٣٤) المرجع السابق, ص ٣١ .

(٣٥) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٦ .

(٣٦) المرجع السابق, ص٥ .

(37) Hans-Joachim Werner, Philosophizing with Children-introductory Remarks, In Eva Marsal, Takara Dobashi & Barbara Weber (eds.), *Children Philosophize Worldwide: Theoretical and Practical Concepts*. Peter Lang, Internationaler Verlag der Wissenschaften, 2009, pp15.

(38) Michael Pritchard, Philosophy for Children, Stanford Encyclopedia of Philosophy, First published Thu May 2, 2002; substantive revision Fri Dec 14, 2018, https://plato.stanford.edu/entries/children/.

(٣٩) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٦.

(٤٠) المرجع السابق, ص ٦.

(41) Bernadette Russell's top 10 philosophical questions children should ask, the Guardian, international edition, sun 14 Feb 2016 18:00 GMT.

https://www.theguardian.com/childrens-books-site/2016/feb/14/philosophical-questions-children-should-ask-bernadette-russell

(42) Pat Flynn, Kids Ask The Best Philosophical Questions, March 20, 2018 at 9:36 am, https://www.chroniclesofstrength.com/kids-ask-best-philosophical-questions/

(٤٣) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٦.

(44) Achenbach, Gerd B, consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, Op.cit, p. 45.

(٤٥) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٧.

(٤٦) عبد الغفار مكاوى، مدرسة الحكمة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦, ص١٠.

(٤٧) المرجع السابق ، ص ١٠.

(٤٨) جورج فاراكلاس: الشائع والصحيح: محاولة للرد على تساؤل: ما هى الفلسفة, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣ , ص ٥٧ .

(٤٩) عبد الغفار مكاوى، مدرسة الحكمة، مرجع سابق، ص ٨٣ وما بعدها.

(٥٠) المرجع السابق, ص ٥.

(٥١) المرجع السابق, ص ٦.

(٥٢) المرجع السابق, ص٦, ولمزيد من التفاصيل عن أراء ميشيل دى مونتين يمكن الرجوع لما يلى:

- Achenbach, Gerd B, La consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, op.cit, p. 19.

(٥٣) سعيد توفيق, الخاطرات التأملات الأولى فى ظاهرات الحياة والوجود, مرجع سابق, ص١٦.

(٥٤) المرجع السابق, ص١٦.

(٥٥) المرجع السابق, ص٢٢.

(٥٦) سامى عبد العال, أسئلة الأطفال: شغف فلسفى, الحوار المتمدن, العدد (٦٢٠١), دراسة منشورة بتاريخ ٢٠١٩/٤/١٤, الساعة ١٢:٤٨, وتم الاطلاع على هذه الدراسة بتاريخ ٢٠ مايوم ٢٠٢٠, ب.ص.

(٥٧) المرجع السابق.

(٥٨) المرجع السابق.

(٥٩) المرجع السابق, ص٢٣ . ولمزيد من التفاصيل عن فكرة الدهشة بوصفها أصل للفلسفة يمكننا الرجوع لكتاب عبد الغفار مكاوى, مدرسة الحكمة, مرجع سابق, صص ٨٣-٩٧, كذلك كتاب آخر لنفس المؤلف: لم الفلسفة مع لوحة زمنية بمعالم تاريخ الفلسفة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٦ , ص٣١ وما بعدها.

(٦٠) سعيد توفيق, الخاطرات التأملات الأولى فى ظاهرات الحياة والوجود, مرجع سابق, ص ٢٤.

(61) Jana Mohr Lone, Philosophical Inquiry in Childhood, op.cit.

(62) Istituto Comprensivo Cavalieri, Filosofia per bambini alla Primaria Ariberto, qui si vola fra pensieri e parole, sito:
http://www.iccavalieri.edu.it/filosofia-per-bambini-alla-primaria-ariberto/

(63) Ibid.

(٦٤) سامى عبد العال, أسئلة الأطفال: شغف فلسفى, ب.ص.

(٦٥) المرجع السابق.

(66) Hans-Joachim Werner, Philosophizing with Children-introductory Remarks, In Eva Marsal, Takara Dobashi & Barbara Weber (eds.), *Children Philosophize Worldwide: Theoretical and Practical*

Concepts. Peter Lang, Internationaler Verlag der Wissenschaften, 2009, pp26,28.

(٦٧) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص ٢٧ .

(٦٨) المرجع السابق, ص ٢٧ و ٢٨.

(٦٩) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص ٢٩ , وكذلك انظر: كمال نجيب, تعليم الفلسفة للأطفال, مجلة الفكر المعاصر, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الإصدار الثانى, العدد السابع عشر, يناير/ مارس, ٢٠٢٠, ص ٥٣ .

(٧٠) المرجع السابق, ص٢٩ .

(71) in Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini di 4-7 e 8-11, fondazione collegio San Carlo di Modena, III edizione, 2016, p.5

(٧٢) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص٢٩ .

(*) مسرحية "أنا هو أنا" من تأليف الكاتبة النمساوية Mira Lobe موسيقى المؤلف الموسيقى المعاصر للكلاسيكية الحديثة Georg Friedrich Hass مايسترو باص فيجاس, أوركسترا كلانجفوروم, إخراج ميخائيل شايدل, الممثلين: الراوى للمسرحية الفنان المصرى النمساوى Elsayed Kandil, الذى يعيش بمدينة فيينا قبل سنوات عديدة, وهو شخصية معروفة وله العديد من الأعمال الفنية المهمة باللغة الألمانية والعربية, أنا هو أنا: فرانشيسكا اددينساير عرائس وحصان وفرس النهر: انجلو كونست, انتاج مشترك مع نتس تساید مسرح الموسيقى المعاصر, مهرجان فيينا الحديث, مسرح الطفل دشونجيل, أكتوبر ٢٠١٦, ويمكن الرجوع إلى رابط هذه المسرحية عبر الموقع التالى:

https://www.youtube.com/watch?feature=youtu.be&v=OP6fed9Ib6Y&fbclid=IwAR34gWf1npKJnpkPaUT0jjvS0UFYMWXOcbmWAAjMt71oqaUUC0nhonGbYGg&app=desktop

(٧٣) المرجع السابق, ص٣٢

(٧٤) المصدر السابق, ص٣٢ , ولمزيد من التفاصيل عن مفهوم التفكير النقدى Critical Thinking يمكن الرجوع الى المرجع التالى:

Robero Fisher, Teaching children to think, Original illustrations Nelson Thomes, second edition, United Kingdom, 2005, p.54, 80.

(٧٥) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, مرجع سابق, ص ٣٢.

(٧٦) المرجع السابق, ص٣٤.

(٧٧) المرجع السابق. ص٣٥.

(٧٨) المرجع السابق. ص٦٥.

(٧٩) المرجع السابق, ص ٦٦.

(٨٠) المرجع السابق, ص٤١.

(٨١) المرجع السابق, ص ٤١.

(٨٢) المرجع السابق, ص٤١.

(٨٣) المرجع السابق, ص٤٣.

(٨٤) المرجع السابق, ص١١٢.

(٨٥) المرجع السابق, ص١٢٩.

(٨٦) المرجع السابق, ص ١٨٠.

(٨٧) إيوانا كوسورادى, تحديات من الفلسفة وتحديات للفلسفة, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣, ص٧٥.

(٨٨) أيوانا كوسورادى, الفلسفة للأطفال, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣, ص ٨٥.

(٨٩) المرجع السابق, ص٨٥.

(٩٠) المرجع السابق, ص٨٦.

[٩١] وفاء إبراهيم, الوعى الجمالى عند الطفل, مكتبة الأسرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ١٩٩٧, ص١١.

[٩٢] المرجع السابق, ص١٢.

مصادر ومراجع الدراسة.

أولًا: باللغة العربية.

(١) أروسيو، أليزابيتا، **مقابلة مع جاكو هينتكا**، ترجمة محمد البهنسى فى مجلة ديوجين، العدد ١٩٢ / ١٩٣ ، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، يناير ٢٠٠٣.

(٢) الفريد ل. هال كويست، مقدمته لكتاب: جون ديوى، الخبرة والتربية، ترجمة محمد رفعت رمضان و نجيب اسكندر، راجعه محمد بدران، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

(٣) ايوانا كوسورادى, تحديات من الفلسفة وتحديات للفلسفة, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣.

(٤) ايوانا كوسورادى, الفلسفة للأطفال, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣.

(٥) جان جاك روسو, إميل أو التربية, ترجمة عادل زعيتر, تقديم محمود كامل الناقة, المركز القومى للترجمة, العدد (١٩٥٣), القاهرة, ٢٠١٥.

(٦) جان هرش, الدهشة الفلسفية (تاريخ الفلسفة), ترجمة محمد آيت حنّا, الطبعة الأولى, بيروت- لبنان, ٢٠١٩.

(٧) جون ديوى, الخبرة والتربية, ترجمة محمد رفعت رمضان و نجيب اسكندر, مراجعة محمد بدران, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧.

(٨) جورج فاراكلاس: الشائع والصحيح: محاولة للرد على تساؤل: ما هى الفلسفة, مجلة ديوجين, العدد ١٩٢ / ١٣٦ , مركز مطبوعات اليونسكو, القاهرة, يناير ٢٠٠٣.

(٩) سامى عبد العال, أسئلة الأطفال: شغف فلسفى, الحوار المتمدن, العدد (٦٢٠١), دراسة منشورة بتاريخ ٢٠١٩/٤/١٤.

(١٠) سعيد توفيق, رؤيتى للفن بوصفه رؤية لمعنى ما, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الطبعة الأولى, ٢٠١٧.

(١١) سعيد توفيق, الخاطرات سيرة ذاتية فلسفية, منشورات بتانة, القاهرة, ٢٠١٩.

(١٢) سعيد توفيق, الفن تمثيلًا رؤيتى للفن بوصفه رؤية لمعنى ما, الهيئة المصرية العامة للكتاب, الطبعة الأولى, ٢٠١٧, ص٤٦ .

(١٣) عبد الغفار مكاوى, لِمَ الفلسفة مع لوحة زمنية بمعالم تاريخ الفلسفة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٦.

(١٤) عبد الغفار مكاوى، مدرسة الحكمة، دار شرقيات للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٦.

(١٥) على سليمان الصوالحة, يسرى راشد العويمر, على مصطفى العليمات, علاقة الألعاب الالكترونية العنيفة بالسلوك العدوانى والسلوك الاجتماعى لدى أطفال الروضة, مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية, المجلد الرابع (ع) (١٦)- ٢٠١٦.

(١٦) ماجد محمد حسن, السؤال الفلسفى, دراسة منشورة على موقع الحوار المتمدن, العدد ٧٩٣, ٢٠٠٤.

(١٧) منير البلعبكى, معجم أعلام المورد, موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاه من موسوعة المورد, إعداد دكتور رمزى البلعبكى, دار العلم للملايين, الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢.

(١٨) كورامیسن, سقراط الرجل الذى جرؤ على السؤال, ترجمة محمود محمود, مقدمة بقلم حسن جلال العروسى, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة, ١٩٥٦.

(١٩) لافين، ت. ز، **من سقراط إلى سارتر**، ترجمة أشرف محمد كيلانى، مراجعة وتقديم سعيد توفيق، المركز القومى للترجمة، رقم العدد (٢٠٨٢) ، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٢، ص ٣٣.

(٢٠) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: الفلسفة مدرسة الحرية, تعليم الفلسفة وتعلم التفلسف, وصف الحالة الراهنة واستشراف المستقبل, منشورات اليونسكو, الطبعة الأولى, باريس, ٢٠٠٩.

(٢١) وفاء إبراهيم, الوعى الجمالى عند الطفل, مكتبة الأسرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ١٩٩٧.

ثانيًا: باللغة الإنجليزية

(1) Bernadette Russell's top 10 philosophical questions children should ask, the Guardian, international edition, sun 14 Feb 2016 18:00 GMT.

(2) Hans-Joachim Werner, Philosophizing with Children-introductory Remarks, In Eva Marsal, Takara Dobashi & Barbara Weber (eds.), *Children Philosophize Worldwide: Theoretical and Practical Concepts*. Peter Lang, Internationaler Verlag der Wissenschaften, 2009.

(3) Jana Mohr Lone, Philosophical Inquiry in Childhood, 14 JULY 2018, in 1000- Word, Philosophy, an introductory anthology, for more information you can see this site: https://1000wordphilosophy.com/2018/07/14/philosophical-inquiry-in-childhood/

(4) Michael Pritchard, Philosophy for Children, Stanford Encyclopedia of Philosophy, First published Thu May 2, 2002; substantive revision Fri Dec 14, 2018.

(5) Pat Flynn, Kids Ask The Best Philosophical Questions, March 20, 2018 at 9:36 am, https://www.chroniclesofstrength.com/kids-ask-best-philosophical-questions/

(6) Robero Fisher, Teaching children to think, Original illustrations Nelson Thomes, second edition, United Kingdom, 2005.

(7) Stephen Gorard, Nadia Siddiqui and Beng Haut, Philosophy for Children, Evaluation report Executive summary, Education Endowment Foundation(EFF), Durham University, July 2015.

ثالثًا: المراجع الإيطالية

(1) Arianna Ioli, Infanzia e filosofia. Un approfondimento sulla Philosophy for Children di Matthew Lipman, NURTURE o dell'educazione libertaria, https://www.roots-routes.org/infanzia-e-filosofia-un-approfondimento-sulla-philosophy-for-children-di-matthew-lipman-di-arianna-ioli/

(2) Badami A., *Arte Contemporanea: l'espressione artistica come opera aperta*, i edizione, Palermo, - DCT 1999.

(3) Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini di 4-7 e 8-11, fondazione collegio San Carlo di Modena, III edizione, 2016.

(4) Gerd B. Achenbach, La consulenza filosofica, convegno l'associazione Stampa Romana, VenrdÌ 13 Giugno 2008.

(5) Gerd B Achenbach, Il Libro della Quiete interiore, trovare l'equilibrio in un mondo frenetico, traduzione di Raffaella Soldani, Apogeo, Prima edizione Italiana, Milano, 2005.

(6) Gerd B Achenbach, Sapere Vivere, per una vita piena di significato e di valore, Apogeo, Milano, 2006.

(7) Gerd B Achenbach, La consulenza filosofica, la filosofia come opportunità di vita, traduzione di Raffaella Soldani, Saggi Universale Economica Feltrinelli, Prima edizione, Giugno 2009.

(8) Isabella Paglia, in Filos, Filosofia con I bambini, un percorso bibliografico per bambini di 4-7 e 8-11, fondazione collegio San Carlo di Modena, III edizione, 2016.

(9) Peter Raabe, Teoria e pratica della consulenza filosofica, idee fondamentali metodi e casi di studio, traduzione e revisioni Neri Pollastri, Apogeo, Milano, 2006.

رابعًا: المسرحيات العالمية

١. مسرحية "أنا هو أنا" من تأليف الكاتبة النمساوية Mira Lobe موسيقى المؤلف الموسيقى المعاصر للكلاسيكية الحديثة Georg Friedrich Hass مايسترو باص فيجاس, أوركسترا كلانجفوروم, إخراج ميخائيل شايدل, الممثلين: الراوى للمسرحية الفنان المصرى النمساوى Elsayed Kandil, أنا هو أنا: فرانشيسكا اددينساير عرائس وحصان وفرس النهر: انجلو كونست, انتاج مشترك مع نتس تساید مسرح الموسيقى المعاصر, مهرجان فيينا الحديث, مسرح الطفل دشونجيل, أكتوبر ٢٠١٦, ويمكن الرجوع إلى رابط هذه المسرحية عبر الموقع التالى:

https://www.youtube.com/watch?feature=youtu.be&v=OP6fed9Ib6Y&fbclid=IwAR34gWf1npKJnpkPaUT0jjvS0UFYMWXOcbmWAAjMt71oqaUUC0nhonGbYGg&app=desktop

The problematic of the philosophical question for the children An aesthetic study

Abstract

This study highlights a significant issue related to “Philosophy for Children” which is abbreviated to “P4C”, by focusing specifically on the philosophical question. Although I observed many foreign and English studies tackling generally “philosophy for children”, they lack any explanation of “ children's philosophical question. Obviously, this question did not grab sufficient attention in contemporary Arab philosophical thought. Therefore, the importance of this study has been emerged to put emphasis on such kind of studies that are concerned with the value of the philosophical question in general, and the child's question in particular. I became very keen on this topic by focusing on the child's right to question and enjoy the value of his mind, and his right to practice amazement, imagination, passion, contemplation, doubt, question, innocence, play, and unlimited thinking based on expressing opinions and criticizing one-way frameworks and ideologies. From this standpoint, the child possesses "an unchained imagination," and has a way of thinking and a perspective which has a different concept from the adults. furthermore, my methodology in this study is an interpretive, analytical, and critical one, I am not satisfied with theorizing only about the topic, but there will be a focus on the practical side, and this will be revealed by focusing on the question by posing multiple answers or an idea or an image, while trying to discuss The trends concerned with this topic to clarify the nature of these philosophical practices through children's questions, with an emphasis on analyzing them and presenting a point of view including them.

The basic concepts of the study: the philosophical question, philosophy for children, philosophical education, philosophical practice, and children's philosophical counseling, Aesthetic Awareness.